الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

مظاهر الحداثة في شعر حسان بن ثابت

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إعداد الطالبات:

- فوزية سعيود
- سامية عزيزي
- كريمة جوامبي

إشراف الأستاذ:

- بوفاس عبدالحميد

السنة الجامعية:2010 - 2011

تشكرات

نقدم شكرنا لله رب العالمين بتوفيقه لنا في إتمام الدراسة لنيل الشهادة, ونطلب من المولى أن يجعل شهادتنا خدمة للإسلام و الإنسانية.

نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا المشرف "عبد الحميد بوفاس" الذي أحاط هذا البحث بالاهتمام و تعهده بالرعاية و التوجيه ، ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة من اجل انجازه .

كما نتقدم بالشكر إلى الأساتدة:"سليم بوعجاجة" ,"يوسف بن جامع"،"منير بن الذيب "،"سلطاني رشيد" ،"نبيلة بونشادة " ، "حنان بومالي" على ما قدموه لنا من مساعدات و توجيهات و نصائح قيمة .

و لاننسى أن نشكر كل من ساهم في انجاز هذا البحث .

ونقدم حروف الشكر وآيات العرفان إلى كل من أهدانا في الكون حرفا... إلى كل من علمنا معنى...

إلى أساتذتنا الرائعين.

دون أن ننسى عمال مكتبة الجامعة، و إلى من قام بمعالجة و طبع هذه المذ كرة "ياسين ،رابح"

فلكل هؤلاء تحية مفعمة بالتقدير و الاحترام.

ا لإهـــداء

* أشكر الله تعالى الذي وفقني في هدا العمل وأمدني القوة و الصبر و الإرادة لمن أهدي ؟

إلى من كانا سببا في وجودي و كانا لي سندا في أيام حياتي, وأعطياني هدفا للعيش "أمي وأبي "

إلى إخوتي الأعزاء : سناء و فتح الدين ومحمد وجمال ووليد وكريم دون أن أنسى الكتكوتين الصغيرين" منصف و زكرياء" إلى خطيبي "زهير" الذي كان لي خير معين فوفقه الله في كل ما تمناه .

إلى كل صديقاتي وزميلاتي. إلى كل من قدم لي يد العون في انجاز هدا العمل .

إلى من أنار لي درب حياتي وعبد لي طريق النجاح .

ودون أن أنسى الأستاذ عبد الحميد بوفاس الذي كان لي خير مشرف وموجه .

* أتقدم بإهدائي الحار إلى الوالدين الكريمين الأب الغالي سعيود دحمان و الأم الحنونة بوفاس فطيمة اللذان ساعداني بالدعاء و التشجيع على نيل هذه الشهادة . كما لا أنسى جدي محمد وجدتي مسعودة على دعمهما لي ماديا ومعنويا.وإلى جداتي وجدي لأبي وأدعو له بالرحمة وأن يجعل الله قبره روضة من رياض الجنة.

و أهدي عملي هذا إلى خالي عبد الحميد وأخي رابح العزيزين على قلبي.و اللذين كانا سندا لي و دعما.

وإلى الأخوات ليندة, ثلجة وحنان وزوجها توفيق و فضيلة ,وعائشة وخطيبها عماد.

وإلى الأعمام و العمات, و الأخوال و الخالات, وكل الأهل بدون استثناء.

وإلى الدين رافقوني على الدرب الطويل زملائي و زميلاتي سامية, كريمة, راوية وسعاد.

و إلى الدين قدموا لي العلم و المعرفة أساتذتي.

* أشكر الله رب العالمين الذي أوزعني الصبر و القوة و الثبات لانجاز هدا العمل .

إلى من إلى روح أبي الطاهرة, الذي غادرنا دون أن يرى أولى خطواتي تتحقق.

حبتني تحت قدميها,إلى من وهبتني كل شيء.

إلى من كانوا سندا و دعما لي و قاسموني أفراحي و أحزاني إلى إخوتي و أخواتي إلى عائلتي الكبيرة و كل الأحبة و الأصدقاء. "اللهم إنا برحمتك نستغيث".

كريمة– فوزية– سامية

المقدمـــــــــــة:

من شروط كل بحث تحديد مفهوم الكلمات الاصطلاحية، لا نقصد التحديد المعجمي القريب الذي يملك القدرة على التدقيق، و إنما المقصود هنا هو التحديد الاصطلاحي الذي يجعل المصطلح واضحا و الحداثة مصطلح متشعب الدلالة ، فليس من السهل الحديث عن مفهوم لها . لأن النقاد أنفسهم اختلفوا حول تحديد مفهوم واضح و دقيق و محدد لها ، فالحداثة مصطلح معاصر ، يعود في أصله إلى التأثر بالثقافة الغربية و تياراتها الفكرية و الأدبية فالحداثة وليدة واقع يختلف في كثير من عناصره عن واقعنا ، هذا ما جعل لها صورة غير واضحة .

فمن النقاد من رأى بأن الحداثة إحداث قطيعة معرفية مع الماضي و ثراته ، و إلغاء لكل مورث و الخروج على كل مألوف و قديم ، كما نجد ها عند بعض النقاد تعني التكيف وفق المقتضيات الحاضرة ، بمعنى أنها استجابة الأديب لقضايا عصره و مجتمعه ، و معايشة واقعه بكل أبعاده ، فيما يذهب البعض الآخر إلى اعتبارها فكرة شاملة لا تخص الجانب الأدبي فقط بل تشمل جميع الجوانب الحياتية ، في حين يرى غيرهم أنها ليست مذهبا أدبيا ، و إنما هي حركة خلق و إبداع وابتكار ، و أن الحداثة لا تخص عصرا بعينه بل لكل عصر حداثته ، و هي كذلك تحمل معنى الجدة وهي الإباحية و هي ناتجة عن تمازج ، الثقافات و غيرها من التعريفات .

و على الرغم من هذه الصعوبات ، فإن الكلام عن الحداثة ممكن بل واجب ، لأن البحث يتطلب منا ذلك فقد حاولنا اختيار أو تبني بعض التعريفات التي نستطيع من خلالها تبيين معالم أو مظاهر الحداثة في شعر "حسان بن تابت" – رضي الله عنه – و على هذا فقد تبنّينا رؤية تجمع بين التراث و ضرورة مواكبة حياة العصر هذه الرؤية التي لا يمكن أن تحقق حداثة إلا في ظل الماضي مع تجاوزه للحاضر والمستقبل ، بمعنى أن يكون الماضي مصدرا خصبا للإجابة عن الحاضر و هذا الحاضر انطلاقه نحو المستقبل . فعند مجيء الدّين الإسلامي الذي أحدث هزة عميقة في حياة العرب ، امتدت إلى مختلف الصدد الدينية الفكرية و الأدبية ، و السياسية ، و الاقتصادية ، و الاجتماعية ، نجد أن " حسان بن تابت " استجاب و تفاعل مع هذا المعطى الحضاري الجديد و كانت الرؤية عنده مست قلة من وحي

الدّين الجديد، وذلك من خلال نبذ ما كان سائدا في الجاهلية مما خالف الإسلام من جهة ، و الاستجابة الحضارية للتحدّي بالتعبير الصادق من جهة أخرى .

فقد أثار الدارسون في دراساتهم لشعر " حسان بن تابت" عدة قضايا منها : تلك التحولات التي طرأت على شعره ، و كذلك ظاهرة التجديد فيه ، و قضية ضعف شعر " حسان" في صدر الإسلام كما قال " الأصمعي " .

و الملاحظ على هذه الدراسات أنها لم تربط بين هذه التحولات في شعر " حسان بن تابت" و التحول الحضاري في تلك الفترة ، و هل هذا الضعف الذي رمي به شعره ضعف أم نتيجة لهذا التغيير انه حداثة أي بنية جديدة في شعره.

و على هذا ، فهل تقتصر الحداثة على العصر الحديث أم أن لكل عصر حداثته ؟ بمعنى هل تحمل الحداثة دلالة زمنية أم لا ؟ و هل هناك عناصر و قيم ينبغي توافرها في العمل الأدبي ليك تكتسب صفة الحداثة ؟ و هل فعلا كانت حداثة في شعر " حسان بن تابت " ؟.

و لعل الأسئلة كثيرة و الإشكاليات متعددة ، تعدد مفاهيم الحداثة ذاتها ، و تعدد الرؤية لمفهوم و وظيفة الشعر و أملنا أن يجيب هذا البحث عما طرح من إشكال ، أو على الأقل يكشف عما يمكن أن يكون من صميم الإشكاليات في الدرس النقدي العربي .

و بناءا على ما سبق ، جاء اختيارنا للبحث في نتاج شعري عربي ، لشاعر مخضرم "حسان بن ثابت "عاش الفترتين الجاهلية والإسلام ،محاولين الكشف عن مظاهر الحداثة في شعره ، في ظل التّغير الجديد الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب ، و ذلك وفق بحث موسوم بـــــ : **مظاهر الحداثة في شعر" حسان بن تابت "** .

و أما عن آفاق هذا البحث و فرضياته :

01 إمكانية إعادة النظر في كثير من المصطلحات النقدية الوافدة إلينا من الغرب لأنها تعبّر عن طبيعة مجتمعاتها ، و من ثم فهي تختلف في مفهومها عن روح المجتمعات العربية.

02 -خلق نظرة جديدة لمصطلح " حداثة" خاصة في ظل تناقض كثير من المفاهيم ، و التي تبين فيما بعد أنها في أيدلوجيتها تيار هدّام ، يسعى إلى ت قويض كل ما هو ديني و كل ما هو أصيل ، و عليه تشكلت نظرة قاتمة للترات العربي .

03- محاولة التأسيس لحداثة عربية وإسلامية لها خصوصياتها التي تميزها عن غيرها من الحداثات الأخرى ، خاصة الإسلام هو الدين الوحيد الذي يبقى صامدا وقادرا على استيعاب كل التيارات والتناقضات ، دون أن يذوب فيها.

04- بيان أن الشعر في مفهومه ووظيفته ، قد تغير بتغير العصور وبتغير الظروف – على اختلاف جوانبها ومنحاحيها- ومن ثم يصير من الخطأ الحكم على نتاج أدبي من خلال معايير نقدية سائدة في عصر بعينه ، إذ ان هذه الأخيرة لا تصلح في إعطاء تفسير حقيقي وشامل للعملية الإبداعية في ظل ارتباطها بمعطى اجتماعي معين وفي زمن معين أيضا.

أما عن الهدف الرئيس من هذا البحث ، فهو رصد أهم مظاهر الحداثة في شعر " حسان بن ثابت " على مستوى المضمون وكذا الشكل ، وبيان كيف كانت المضامين الجديدة التي جاء بها الدين الإسلامي ، وعبر عنها "حسان بن ثابت" في شعره ، تنهج مسلك التغيير في بنية المجتمع ،و كيف تمكنت الكتابة الأدبية في ذلك العصر أن تتكيف وتعبر عن طبيعة الموضوعات الجديدة .

أما عن الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع :

- ميلنا إلى الشعر بصفة عامة ، وبذلك فقد أثرنا أن نخص موضوع الحداثة في شعر "حسان بن ثابت" في صدر الإسلام بالدراسة والتحليل.

– ا لنظرة المتعلقة بمفهوم الحداثة والتي ترى أن الحداثة خاصة بالعصر الحديث و المعاصر ، ولا يحق لنا أن نتحدث عنها في أزمنة ماضية.

– إنكار بعض الدارسين والمفكرين لحداثة الإسلام، و نفيهم المطلق على إمكانية تصور حداثة من منظور إسلامي.

– قبول النقد العربي لرأي ضعف شعر "حسان بن ثابت" في الإسلام، مقارنة به في الجاهلية، دون التفطن إلى التحول في وظيفة الشعر وفي طريقة الكتابة والتعبير الذين كانا ملازمين ومعبرين أصدق تعبير عن التحول الجدري في بنية المجتمع الجاهلي.

وأما عن المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة فهو : منهج وصفي تحليلي ،الذي من خلاله يتم الوقوف على مختلف مظاهر الحداثة في شعر حسان

أما عن المحاور الأساسية التي ارتكز عليها هذا البحث ، فقد كانت إثنين الفصول والخاتمـــــة.

ويشمل البحث ثلاثة فصول :

– الفصل الأول : من مفاهيم الحداثة.

– الفصل الثاني: مظاهر الحداثة في المضمون.

– الفصل الثالث : مظاهر حداثية في الشكل .

الفصـــــــــل الأول : الذي حاولنا من خلاله تقديم مفاهيم للحداثة ، مشيرين إلى التعريف للغوي لها ، بعد ذلك أشرنا إلى تعريفها في اصطلاح النقاد والدارسين من العرب والغرب ثم استخلصنا عناصر الرؤية لمفهوم الحداثة عندهما ، وبعض الفروق بين ما ذكر من تعريفات لنقاد عرب وكذا غربيين ، ثم تطرقنا إلى الحداثة الإسلامية من خلال تأثير الإسلام في حياة العرب ، وما أحدثه من تغيرات جذرية قلبت الموازين رأسا على عقب على مختلف الأصعدة ، من دين ، وفكر وسياسة ، واقتصاد ، واجتماع وأخلاق ولغـــة ،وأدب ، كذلك تعرضنا إلى الحداثة من منظور إسلامي ، وكيف نظر بعض النقاد والدارسين لها.

الفصل الثاني : فقد خصصناه للحديث عن مظاهر الحداثة في المضمون ، وقد بدأنا بالدين ، وكيف أن الدين حداثة وهذا من خلال ما أحدثه من تغيرات وتحولات عظيمة في حياة العرب في تلك الفترة ، بالإضافة إلى انه دين شامل عالج المشاكل الإنسانية وهو دين كامل صالح لكل زمان ومكان ، وهذا نظر للخصائص التي تميز بها والتي جعلته دستور الحياة لأنه استجاب ولا يزال يستجيب لكل ما يطرأ على المجتمعات الإنسانية ، وقد ضمناه أي عنصر الدين مجموعة من العناصر الثانوية أهمها:

العبادة والتوحيد وكيف تغيرت نظرة العرب إلى العبادة ، وأصبحوا لا يعبدون إلا إلها واحدا لا شريك له.

وثانيها الجهاد والدفاع عن العقيدة ، وهنا بينا قيمة الجهاد في الدين الإسلامي ، وكيف غير الإسلام مفهوم الموت وكذلك مفهوم البطولة والنصر وأن هذا الجهاد كان ثلاثة أنواع :جهاد بالمال وجهاد بالنفس وجهاد باللسان ،وكلها للدفاع عن الدين الإسلامي . ثم تأتي إشكالية المصير التي لم يكن عرب الجاهلية يعرفون عنها شيئا ،حتى جاء الدين الإسلامي وأوضح أن هناك حياة أخرى بعد الموت يجازى فيها المؤمن كما يعاقب فيها المشرك .

ثم تطرقنا إلى الاختلاف و تغير طبيعة المجتمع الجاهلي ، هذه الأخلاق التي كان بعضها موجودا عند عرب الجاهلية ، كالكرم و الشجاعة و إجار المستغيث ، هذه الأخلاق ثمنها الإسلام و أضاف إليها أخلاق جديدة من صدق و أمانة و عدل و إحسان و صبر و تواضع و خشوع ، و نبذ كل خلق ذميم يسيء للمسلم ، كالكذب و الرياء و الحسد و الغش و غيرها و ذكرنا في هذا الصدد نماذج أخلاقية بين الجاهلية و الإسلام .

ثم الدعوة إلى الخير و الحق باعتبارها أساس العدل و العدالة الإلهية .

بعد الدين و الأخلاق عرضنا قضية الهوية و الانتماء التي تعتبر مطلبا هاما من مطالب أهل الحداثة ، و كيف استطاع حسان أن يوفق بين معالم الهوية الإسلامية في شعره ، و كيف كان متشبثا بها .

و أخيرا الصدق الفني : و قد عرضنا في هذا الصدد آراء لنقاد قدامى و نقاد حداثيون يطالبون بضرورة توفر الصدق الفني ، و يدعون الشعراء إلى الالتزام به في أشعارهم ، هذا الصدق الذي كان واضحا في أشعار " حسان بن تابت " .

الفصل الثالث و الأخير فقد تناولنا فيه مظاهر الحداثة في الشكل حيث تطرقنا إلى :

مطلع (مقدمة) القصيدة : و عالجنا فيه كيف أن المقدمة عند "حسان بن ثابت " أصبحت مقتضبة ، و قصيرة ينتقل فيها بسرعة إلى الموضوع .

و كذلك غيابها في بعض قصائده، والذي أكسب ه القصائد الوحدة الموضوعية ، حيث أصبح حسان يتناول موضوعا واحدا في قصيدته ، عكس ما كان عليه في الجاهلية .

ثم اللغة الشعرية و التي درجنا ضمنها : الألفاظ الإسلامية و دلالتها الجديدة ، و كذلك الألفاظ الجديدة التي جاء بها الدّين الإسلامي ، ثم البساطة و السهولة و الرقة و اللين ، و التي اكتسبها الشعر الإسلامي (شعر حسان) من تأثره بالقرآن الكريم و الحديث الشريف فأصبح شعره يخالف صورة الشعر الجاهلي ،التي عرف بها من الجزالة البدوية و مرد هذا كذلك إلى انتقال الشعر من البادية إلى المدينة .

و أخيرا خاتمة البحث ، و التي كانت عبارة أو بمثابة نتائج استخلصنا من خلال هذه الإطلالة القصيرة ، و قد سجلناها في شكل نقاط ، إذ تبقى قابلة للإثراء و التوسع .

و لا يفوتنا أن نشير إلى الصعوبات التي تلقيناها أثناء إنجازنا لهذا البحث، و هي أن موضوع البحث جديد و كذلك ندرة الكتب الخاصة بالموضوع المتناول، فهناك إشارات طفيفة لبعض العناصر فقط و التي كانت موزعة في بعض الكتب.

و في النهاية نأمل أن نكون وفقنا في هذا البحث ، فإن كنا قد وفقنا في شيء منه فإنما الفضل لله عز وجل و للمشرف الكريم و إن كانت الأخرى فحسبنا أننا حاولنا و الله و لي التوفيق .

سبحانه نعم المولى و نعم النصير ، عليه توكلنا و إليه ننيب .

- ونجدد شكرنا للأستاذ الكريم المشرف: "عبد الحميد بوفاس".

الفصـــــــــل الأول

من مفاهيم الحداثة

1 – تعريف الحداثة :

1 – 1 لغة

1 – 2 اصطلاحا

أ – عند الغرب

ب – عند العرب

2 – الحداثة الإسلامية :

2 – 1 تأثير الإسلام في حياة العرب

2 – 2 الحداثة الإسلامية

1 – تعريف الحداثة :

1 –1 لغة :

الحداثة لغة مأخوذة من الجدر الثلاثي «حدث ».

وقد جاء في" لسان العرب لابن منظور " أن الحداثة ترتبط ارتباطا ماديا و معنويا بالقدم ، كذلك فهي نقيضه القدمة ، من خلال ماأورده في هذا الشأن :

« حَدَث : الحديث نقيض القديم

و الحدوث : نقيض القدمة

و حدث الشيء، يَحْدثُ حدوثا وحداثة وأحدثه هو: محدث و حديث.

وفي قوله:ما قدم و حدث، لا يقال حدث بالضم إلا مع قدم، كأنه إتباع.

و في قوله كذلك:ما قدم وما حدث.يعني همومه وأفكاره القديمة و الحديثة».[1]

كما ورد معنى الحداثة مرادفا أويعني أول الشيء ،و أول النشأة و الجدة .

«حدث ،حدوثا :حصل ،وقع و طرأ ،«حدث عامل غير متوقع ».

حدوثا، و حداثة:كان جديدا.

حداثة: أول العمر، و أول النشأة، كما في قوله:« في حداثة سنه».

« أيام الحداثة و الدراسة » الجدة.

حدث:جمعه أحداث:صغير السن: « صبي حدث »ما يقع من الأمور غير المعتادة »[2].

« ومن المزيد كذلك :« استحدثت خبرا »أي وجدت خبرا جديدا ».(2)

كما نجد الحداثة بمعنى البدعة .

«الحدث،الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد، ولا معروف في السنة .

---

[1] – إبن منظور : لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه د : خالد رشيد القاضي ط1 ، ج3 دار صبح ، ديسوفت بيروت لبنان 2006 ، ص 69.

[2] – دار المشرق : المنجد في اللغة العربية المعاصر ، ط1 ، دار النشر ، بيروت 2001 ص 258 .

و محدثات الأمور :جمع محدثة ،ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها ،و هي ما لم يكن مع معروفا في كتاب ولا سنة و إجماع »[1]

و الحداثة تعني كذلك التكيف وفق المقتضيات الحاضرة.

«تحديث:مصدر جمعه تحديثات :جعل شيء يلبي حاجات العصر ،تكييفه و فق المقتضيات الحاضرة»[2]

– كما جاءت بمعنى الخلق ،و الإبداع في الفعل المزيد:

« احدث :الذي بمعنى ،برأ و خلق ،و أوجد ،و أبدع أو ابتدع و ابتكر »(2)

2–2 اصطلاحا :

من خلال بحثنا عن تعريف الحداثة وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من التعريفا ت ، أو بما أن المصطلح غربي في أصله وجب علينا تعريفه بلسان أصحابه الغربيين الذين نشأ المصطلح بينهم وفي بيئتهم .كما أن له تعريفات عند دعاتها من العرب.

أ– عند الغربيين:

ارتبط مفهوم الحداثة عند بعض النقاد الغربيين بالعقل ، حيث اعتبروه معيارا أصيلا للحداثة، و هذا من خلال قول ما ركس و أميل دوكايم و ماكس فيبر : «هي تجسيد صورة نسق اجتماعي متكامل و ملامح نسق صناعي منظم و آمن ،وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات و الاتجاهات . » [3]

كما يذهب كانط في سياق إجابته عن السؤال ما الأنوار؟

إلى ربط الحداثة بالحرية كضرورة للتخلص من سلطة المقدس و رجال الكهونت فيقول : «الأنوارأن يخرج الإنسان من حالة الوصاية ،التي تتمثل في استخدام فكرة دون توجيه من غيره».[4]

في حين يرى "جيدان "بأن الحداثة إحداث قطيعة معرفية مع الماضي إذ يقول : «بأنها تتمثل في نسق من

---

[1] – إبن منظور : لسان العرب ج3 ، ص 96 .

[2] – دار المشرق : المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ص 259.

[3] – علي وطفة : مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة فكر ونقد ، عدد 34 ، ص 2. www Aljabiri abd.com

[4] - المرجع نفسه ، ص11.

الإنقطاعات التاريخيّ عن المراحل السابقة ،حيث تهيمن التقاليد و العقائد ذات الطابع الشمويلي الكنسي»[1]

و هناك من اعتبرها انفجارا معرفيا لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه وفي هذا يقول:"رولان بارت:« في الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة ،و تتحرر شهوات الإبداع في الثورة المعرفية مولدة في سرعة مذهلة وكثافة مدهشة أفكارا جديدة ،و أشكالا غير مألوفة ،و تكوينات غريبة ،و أقنعة عجيبة ،فيبقى بعض الناس منبهرا بها ،و يقف بعضهم الآخر خائفا منها ،هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا مثيل لها ،و لكنه يجرف أيضا . »[2]

في حين تقوم الحداثة على استبدال فكرة الله بفكرة العلم ،و هذا في قول ثورين : «نستبدل فكرة الله بفكرة العلم ،و نقتصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل شخص» [3]

وهذه التعريفات تشير في حملتها إلى عدة معان منها :

- إن الحداثة فكرة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط ،وإنما تشمل كافة الجوانب الحياتية .اجتماعية و معرفية وصناعية وغيرها.

- إن أساس فكرة الحداثة هو العقل،فالعقل المتحرر من كل سلطان هو معيار أهل الحداثة.

- الحداثة انقطاع عن الماضي ،وهي انفصال للحديث عن القديم ،و الثورة على كل ماهو مقدس و غير مقدس.

-الحداثة حرية مطلقة لا يقف في طريقها ضابط ،ولا يحكمه ا شيء ،و هذه الحرية لا تتحقق إلا بحركة الإنسان حرا دون وصاية عليه من أي جهة .

وعلى العموم فإن الحداثة عند الغربيين تقوم على أساس العقل و العلم في مقابل الدين .

ب- عند العرب :

تباينت الآراء و تشعبت النظريات حول مفهوم الحداثة ،فليس من السهولة بمكان الحديث عن مفهوم واضح و دقيق يقرب المعنى و يوضحه ،ذلك أن الحداثة مصطلح معاصر ،يعود في أصله إلى التأثر بالثقافة الغربية و تياراتها

---

[1] – علي وطفة : مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة فكر ونقد ، عدد 34 ، ص 1. www. Aljabiriabd.com

[2] – عدنان علي رضا النحوي : تقويم نظريه الحداثة، ط1، دار النحوي للنشر و التوزيع ، السعودية 1992 ، ص 35 .

[3] – علي وطفة : مقاربات في مفهمي الحداثة وما بعد الحداثة ، ص 16 .

الفكرية و الأدبية ،فهي وليدة واقع يختلف في كثير من عناصره عن واقعنا ،و لعل ذلك ماساهم في إعطاء صورة متذبذبة للحداثة ،واتخاذ مواقف متباينة و متعارضة إزاءها .

يرى بعض النقاد و الدارسين أن الحداثة هي إلغاء لكل موروث ،و بالتالي إحداث قطيعة معرفية مع الماضي و ثراته، و هذا من خلال تعريف "خالدة سعيد"بأن الحداثة ليست تقسيما زمنيا ،و إن كانت تمثل موقفا شاملا ،فالحداثة وضعية فكرية لا تنفصل عن ظهور الأفكار و التراعات التاريخي ة ،التطورية ،و هي في الحقيقة تمثل قطيعة معرفية مع المرجعية الدينية و الثراتية ،أي إسقاط العصمة عن الماضي و أشكاله و نماذجه ،و اعتبار هذه الأشكال قابلة للتغيير. [1]

أما"كمال أبو دبب "فيذهب إلى أن الحداثة هي الإباحية المفرطة والتخلص من كل ما هو موروث ومقدس فيقول:«إنها تجاوز الواقع أو اللاعقلانية ،أي الثورة على قوانين المعرفة العقلية وعلى المنطق وعلى الشريعة من حيث هي أحكام تقليدية تعنى بالظاهر ...هذه الثورة تعني التوكيد على الباطن والخلاص من المقدس ،وإباحة كل شيء للحرية » [2] .

كما أكد البعض على ارتباط دلالة الحداثة بحداثة الحياة نفسها كما يقول "محمد بنيس "

«الحداثة ليست اختيارا قوليا ،بطأ العبارة ،و ينتهي عند ملفوظها ،بل هي نمط حياة ،و تصور مجتمع ،و ثقافة تقنية تكتسح الإنسان و الطبيعة »[3].

و يوافقه الرأي "محمد مصايف "الذي يذهب إلى أن الحداثة لا تنحصر في الشكل و المضمون ،بل هي أسع و أعمق من هذا ،فهي تمتد إلى موقف الإنسان من الحياة و نظرته لها.(3)

ومن النقاد من يرى بأن الحداثة تقتصر على اللغة و الصورة الشعرية لما تشكلانه من مادة أساسية في التشكيل الشعري «معالم الحداثة و المعاصرة تنحصر في نقطتين أساسيتين هما:اللغة و الصورة الشعرية أو الاستعارة ،أما قضية

---

[1] – خالد سعيد : (الملامح الفكرية للحداثة) ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، الحداثة في اللغة والأدب ، ج1، أفريل ، ماي جونيه1984 ، ص25 .

[2] – محمد مصطفى هدارة : بحوث في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 63

[3] – عمار زغموش (إشكالية الأصالة والمعاصرة في النقد العربي) ، مجلة الأدب جامعة قسنطينة ، العدد 1 ، ص 14 .

التفاعلية الموحدة أو المنفصلة أو المنعدمة ،أو معالجة هموم العصر أو قضياه و مستخدماته ،فليست هي الحد الفاصل بين ماهو قديم و ماهو حديث »[1] .

و قد شايع "عبد الله حمادي "في رأيه هذا "عز الدين إسماعيل "حيث يقول : «على أساس الفروق بين الصورة القديمة والصورة الحديثة ،يكون النظر إلى الشعر القديم و الشعر الحديث »[2] .

– و نجد أن "السعيد الورقي "يخالف كل من "عبد الله حمادي "و "عز الدين إسماعيل"فيما ذهبا إليه ،و يرى أن القضية أكبر من لغة شعرية و حدها ،أو صورة شعرية و حدها ،أو لغة و صورة معا ،بل أن الصورة تكون من خلالها صورا غير مألوفة مرتبطة بتجربته الخاصة هنا فالصورة هي كل مكونات العمل الشعري من ألفاظ وصور و خيال ،و عاطفة ،و موسيقى ،و مواقف بشرية ،أي ما يسميه هو بالمضمون الشعري. [3]

وتتحدد الحداثة عند"إحسان عباس "من خلال موقف الشاعر من الزمن و كذا موقفه من الثرات في قوله : «إن موقف الشاعر من الزمن هو الذي يعطي شعره سمة فارقة ،و تحدد صلته بالحداثة ،و يقر مدى انتمائه ،و طبيعة ذلك الانتماء » [4] .

بل إنه يرى أن «في موقف الشاعر من التراث تنصح معالم الثورة ،و من ثم الحداثة بأكثر مما تنصح في موقفه من الزمن أو المدينة »(4).

فيما ذهب آخرون إلى اعتبار الحداثة ليست مذهبا أدبيا ،و إنما هي حركة إبداع و خلق تواكب الحياة في تغييرها الدائم ،فهي لا تقتصر على زمن آخر و على هذا فهي «ليست نظريات جاهزة ،و إنما هي تجربة مجتمعية متداخلة ضمن سياقات تاريخية و تحولات معرفية تحدث خلخلة داخلية في بنية المجتمع» [5].

---

[1] – عبد لله حمادي : الشعرية العربية ، بين الأتباع والابتداع ، ط1 ، دار هومة ، ص 152.

[2] – شلتاغ عبود شراد العماري: شاعر العقيدة الإسلامية ، دار مدني ص 28 .

[3] – المرجع نفسه ،ص 30 .

[4] – المرجع نفسه ،ص 29 .

[5] – مشري بن خليفة : القصيدة الحديثة النقد العربي المعاصر ط1 ، منشورات الاختلاف، 2006، ص 25 .

و يوافقه في هذا "يوسف الخال "الذي يرى بأنها «نتائج عقلية حديثة تبدلت نظرتها إلى الأشياء تبدلا جذريا ،و حقيقيا انعكس في تغيير جديد.»[1].

و باعتبار الحداثة تعني التكيف وفق المقتضيات الحاضرة أي استجابة الأديب لقضايا عصره ومجتمعه ،و معايشة واقعه بكل أبعاده ،و التعبير عنه بصدق مستلزمهما في ذلك التراث ،فهي إذن لا تقوم على الشكل الفني للقصيدة الذي يسعى الكثيرون إلى تحقيقه ،أو استيراده من ثقافات أخرى .أو هي مجرد شكل عبثي،وأن كل ما هو غربي حداثة ,فهي لا ترتبط بالعصر الحديث ،وكذلك ليست انفصاما عن واقع معيش ، وليس الوقوف عند واقع جامد ميت ،إذن فالحداثة روح تسري في الشعر وكل مكوناته من لغة وصورة وموسيقى وموقف من الحياة والزمن بكل أنواعه الماضي ،الحاضر ،المستقبل. فهي تتحقق في ظل الماضي مع تجاوزه للحاضر والمستقبل ،بمعنى أن يكون الماضي مصدرا خصبللإجابة عن الحاضر، وهذا الحاضر انطلاقة نحو المستقبل ويصبح التراث كله مادة شعرية ومفاهيم بين يدي الشاعر يوظفها لإحداث مزيد من اللهب في التعامل مع الحياة .والحداثة كذلك ذلك التوتر أو كما يطلق عليها الرعشة الفنية في التعامل مع الوجود وما حوله، وفي الوقت الذي نشعر أن هذا الشاعر هو أكثر قدرة على إثارتنا وتعبيرنا بواقعنا الاجتماعي والنفسي ويعبر عما نحس به ونعيشه في عصرنا فهو حديث ومعاصر وفنه خلاف قدم لنا ما لم يستطيع الأقدمون أن يعبروا عنه أو يؤثرو ا به فينا إزاء ما نتفاعل معه من أحداث وما يهز مشاعرنا وأحاسيسنا [2].

وعلى هذا الأساس نجد «حسن الأمراني »ينفي أن تكون الحداثة نقيضا للأصالة ويؤكد أن «الحداثة ـــ كما نؤكد عبر مراحل التاريخ ـــ لا تقوم إلا على الأصالة ,وإن ما لم يكن أصيلا ,لم ولن يكون حديثا »[3]

أما بالنسبة لمواكبة العصر واستجابة الأديب للمعطيات الحضارية والتعبير عنها بصدق فنجده يقول : «ما الحداثة إذن ؟إنها الاستجابة الحضارية للتحدي بالتعبير الصادق الجميل .إن كل بحث عن مدلول الحداثة خارج الانتماء الحضاري يظل ضربا من العبث، مفضيا إلى سراديب الوحشة ،فنحن بانتمائنا إلى حضارة معينة .هي الحضارة

---

(1) – يوسف الخال: الحداثة في الشعر ، ط1 دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ص17

(2) – شلتاغ عبود شراد الغماري : شاعر العقيدة الإسلامية ، دار مدني ص30 .

(3) – حسن الأمراني :(الحداثة ...ماالحداثة ؟) ، المشكاة ، مجلة ثقا فية فصلية العدد 15 – 16 ، ص 113.

العربية الإسلامية على وعي بمكونات هذه الحضارة وعلى وعي كذلك بما يقوم في وجهها من أساليب التحدي ،ليس أهونها أسلوب التشكيك .وأن استجابتنا المرتبطة بهذا الوعي الشامل هي المدخل إلى الحداثة ،إن لكل حضارة عناصرها الثابتة والمتغيرة،وإدراك الثابت والمتغير من تلك العناصر يبصرنا بطرق الاستفادة مما هو إنساني مشترك بين الحضارات ويصوننا من الذوبان والاضمحلال » [1].

إضافة إلى هذا كله هناك من لم يكتف بتعريف واحد للحداثة ،.بل أورد لها عدة تعريفات فهذا "أدونيس "يقول بأنها ليست ضد القدامة وإنما هي موقف وعقلية إنها قضية جوهرية يربطها بالعقل .وهي ليست عنده أن يكتب الشاعر قصيدة ذات شكل مستحدث لم يعرفه الماضي ,بل الحداثة موقف وعقلية إنها طريقة فهم وطريقة نظر وهي فوق هذا وقبله ممارسة ومعاناة .أي أنها قيمة داخلية مرتبطة بالتجربة الإبداعية ومعاناة الشاعر من أجل الكشف عن أسرار الوجود ،وليست مجرد شكل خارجي مستحدث، فالحداثة على هذا الأساس شكلة معرفية بالدرجة الأولى أي معرفة الإنسان المعاصر لذاته، ومحيطه ،والعالم من حوله ،والكتابة بهذا تأسيس لمعرفة جديدة تنتفي فيها جميع الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية [2] .

يناقض نفسه ويرى أنها رفض وتمرد وخروج على الماضي وتراثه في قوله «تولدت الحداثة تاريخيا في المجتمع العربي من التفاعل، أو التصادم بين موقفين أوعقليتين في مناخ من تغير الحياة ،فنشأت ظروف وأوضاع جديدة » (2) .

ويشاطره الرأي "محمد شكري عياد" في قوله «الحداثة ليست قضية تطبع يتبعه طابع .ولكنها قضية صراع بين قيم موروثة وبين قيم مكتسبة بين أنماط من الحياة قديمة وأخرى جديدة ,بين قوى نزاعة إلى التغيير ,وقوى نزاعة إلى الثبوت » [3].

كما يؤكد"أدونيس " كذلك على أهمية «التفاعل بين الثقافات »[4] . و يرى« أنه ضرورة من ضرورات الحداثة » (4).

---

[1] – حسن الأمراني :(الحداثة ...ماالحداثة ؟) ، المشكاة ، مجلة ثقا فية فصلية العدد 15 – 16 ، ص 117.

[2] – أدونيس : زمن الشعر ، ط2 دار العودة ، بيروت 1978 ، ص 115 .

[3] – عمار زغموش : (إشكالية الأصالة والمعاصرة في النقد العربي) ، مجلة الأداب ، جامعة قسنطينة ، العدد 1 ، ص 17

[4] – شلتاغ عبود شراد الغماري : شاعر العقيدة الإسلامية ، دار مدني ص29 .

فيما يذهب "إبراهيم ألسمرائي"إلى أن لكل عصر حداثته و أنها كل جديد صاحب تطور أدبنا منذ بداياته حتى العصر الحديث في قوله : «لقد كانت لنا حادثات في تاريخنا الأدبي طوال العصور ،و ليس لي إلا أن أعد الجديد في الشعر العربي في عصر المسلمين الأوائل لونا من حداثة خرجت إلى شيء من المألوف في شعراء ما قبل الإسلام » [1].

وقد وسع "جابر عصفور"في مفهوم الحداثة ،و جعلها شاملة تمس جميع مجالات الحياة من طبيعية ،و سياسية و اقتصادية ،و ذلك بإعطاء صياغة متجددة لكل المبادئ في قوله : «إن الحداثة هي البحث المستمر للتعرف على أسرار الكون من خلال التمعن في اكتشاف الطبيعة ،و السيطرة عليها ،و تطوير المعرفة بها ،و من ثم الارتقاء الدائم بموضع الإنسان على الأرض ،أما سياسيا و اجتماعيا فالحداثة تعني الصياغة المتجددة للمبادئ الأصلية و الأنظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الضرورة إلى الحرية ،ومن الاستقلال إلى العدالة، ومن التبعية إلى الاستقلال ،و من الاستهلاك إلى الإنتاج ،ومن سيطرة التسلحية إلى الديمقراطية» [2].

من خلال هذه التعريفات نلخص إلى أن :

-الحداثة هي إحداث قطيعة معرفية مع الماضي ،و هي كذلك التمرد،و الخروج على كل ماهو مألوف و ماهو قديم .

- إنهاء الإباحية المفرطة :

- وهي التكيف وفق المقتضيات الحاضرة ،و هي استجابة الأديب لقضايا عصره و مجتمعه ،و معايشة واقعة بكل أبعاده.

-الحداثة ليست مذهبا أدبيا و إنما هي حركة خلق و إبداع و ابتكار .و قد نشأت تاريخنا من التفاعل و التصادم بين موقفين و عقليتين .

-الحداثة ليست ضد القدامة و إنما هي موقف وعقلية.

- الحداثة فكرة شاملة لا تخص الجانب الأدبي فقط ،بل تشمل جميع الجوانب الحاتية من الاجتماعية ،اقتصادية ،سياسية و طبيعية .

---

[1] – عبد العزيز إبراهيم : شعرية الحداثة – دراسة – منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2003 ، ص 46 .

[2] – علي وطفة : مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة نقد وفكر ، ص 2 .

- الحداثة لا تخص عصرا بعينه ،بل لكل عصر حداثته .
- الحداثة تحمل معنى الجدة.
- الحداثة ناتجة من تمازج الثقافات أي المثاقفة .

ومن هنا فالحداثة تحمل معنيان :حداثة بمعناها الإيجابي و الذي يقوم على استجابة الأديب لقضايا عصره و مجتمعه ،و معايشة واقعه بكل أبعاده ،و التعبير عنه بصدق ،مستلهما في ذلك الثرات كأساس لعملية بناء المجتمع و تغييره .

أما الحداثة بمعناها السلبي فهي تعبير عن رفض وتمرد عن الماضي و ثراته ،و على الواقع و مقدساته و ظروفه .

من خلال تعريفات الحداثة عند العرب وعند الغرب نلاحظ أن هناك بعض التشابه فيما بينهما ،فكلاهما يقرر بأن الحداثة فكرة ضد الدين ،و ضد الثرات ، و ضد القديم ،و أنها تحرر مطلق من القيود الضابطة من دين و خلق ،و عرف اجتماعي .

الفصـــــــــل الثاني

مظاهر الحداثة في المضمون

1 – الدين :

1–1العبادة والتوحيد

1–2 الجهاد والدفاع عن العقيدة

1–3إشكالية المصير

2 – الأخلاق :

2–1 الدعوة إلى الخير والحق

2-2 نماذج أخلاقية

3 – الهوية والانتماء :

4 – الصدق الفني :

2- الحداثة الإسلامية :

2-1 تأثير الإسلام في حياة العرب:

كان ظهور الإسلام أعظم حدث في تاريخ العرب، فهو بداية تحول كبير في حياتهم على كل المستويات الدينية والاجتماعية السياسية والفكرية ،وكان له أكبر الأثر في حياتهم ،حيث أدى إلى انقلاب جدري وتام في معالم هده الحياة ،وتبدل في مقاييسها ونظمها ومرافقها. [1]

كما عمل أيضا على تبديل وتغيير نفسية الإنسان العربي وكذلك شخصيته ونمط تفكيره ،فقد كان نتيجة حتمية للحالة السائدة في دلك العصر ،وهدا عن طريق التعاليم السامية التي جاء بها ،والقائمة على الإيمان بوحدانية الله عز وجل ،والخضوع له وحده ،وعلى العمل الصالح ونبد كل الفواحش والرذائل ،وعلى التآخي والتآزر والتحاب في الله عز وجل ،وعلى التعاون على البر والتقوى ،وعلى الصبر والقناعة والتواضع ،وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وعلى التعلم والتدبر والتأمل فيما خلقه الله من مخلوقات وكائنات وغيرها ،فالإسلام كان حقيقة ثورة على الماضي وحربا على الجاهلية ونظاما جديدا للحياة،وبفضله اتحدت وتوحدت القبائل العربية وصارت أمة واحدة ،تسعى لتحقيق هدف مشترك وواحد هو نشر هذا الدين (الإسلام)في كل بقاع المعمورة. (1)

فعلى الصعيد الديني قضى الإسلام على الوثنية والأصنام ،والشرك بالله ،هذه الملل التي كان الجاهليون يقومون بعبادتها، وأكد الإسلام على التوحد المطلق لله سبحانه وتعالى، والتوجه له بالعبادة وحده [2].

كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى "وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم" [أ].

وحارب الشرك بالله ،لأنه وليد الجهل والوهم، ودعا وأكد أن هناك حياة أخرى بعد الموت يحاسب فيها كل إنسان على ما آتى في الدنيا من خير أو شر .

---

[1]- زبير دراقي :المستقصي في الأدب الإسلامي ،ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، ص 4.

[2]- جعفر بن السيد باقر الحسيني: تأثير الإسلام في حياة العرب.

[أ] - سورة البقرة ،الآية 163 .

والإيمان بأن الله عادل يجازي على الخير والشر حتما، فإذا لم يتم هذا العدل في الدنيا ،فلا بد حتما أن يتم في الآخرة. [1] وهذا من خلال قوله تعالى: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"[أ] .

وقال تعالى أيضا «ولله ما في السموات وما في الأرض ،وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ،فيغفر لمن شاء ويعذب من يشاء ،والله على كل شيء قدير»[ب] .

كما أوجب الإيمان بالقرآن الكريم وبما سبقه من الكتب التي أنزلت على رسل الأمم الماضية في صورتها الحقيقية ،والاعتقاد ببعثة الرسل ، ووجوب الإقتداء بهم ،والاعتقاد بخاتم هؤلاء الرسل سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم -، وأن رسالته إلى الناس جميعا(1) لقوله تعالى :"قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا "[ج] .

و فرض الإسلام على معتنقيه عبادات جديدة ألفت بين قلوبهم ،ووحدت صفوفهم ،كالصلاة والصوم والزكاة والحج .[2]

فالصلاة:هي التي تمد الإنسان بالقوى الروحية ،وتخلق فيه عقيدة الطاعة لأوامر الله تعالى .

والصوم:طريقة عملية لتربية النفس وصفاتها وتطهير القلوب ،وتقوية الإرادة ،إضافة إلى فوائد صحية .

والزكاة :تجعل للفقير حقا في أموال الأغنياء ودلك لحفظ التوازن بين طبقات المجتمع .

وفي الحج يجتمع المسلمون من كل فج عميق في بيت الله ،وهذا تأكيد على إيمانهم العميق ،وسعيهم لطلب المغفرة والرحمة من الله تعالى .

---

[1] – جعفر بن السيد باقر الحسني : تأثير الإسلام في حياة العرب. www.hawzah-net/per - ...ah/ ..ho1038.Aspia.net

[أ] – المؤمنون الآية 115 .

[ب] – سورة البقرة ، الآية 284 .

[ج] – سورة الأعراف ، الآية 158

[2] – جعفر بن السيد باقر الحسني : تأثير الإسلام في حياة العرب.www.hawzah-net/per - ...ah/ ..ho1038.Aspia.net

فكان لهذه التعاليم الجديدة التي جاء بها الدين الإسلامي أثر واضح في رفع المستوى العقلي للعرب ،وتغيير قيمة الأشياء «كان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب ،فارتفعت قيمة أشياء وانخفضت قيمة أخرى وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس »[1] .

أما على الصعيد الاقتصادي «فالنظام الاقتصادي الإسلامي جزء من كل متناسق ومتماسك .هو :"الشريعة لإسلامية "التي تجمع بين خلوها من الإفراط في القيود ومسايرتها لصالح الناس على اختلاف أماكنهم وأزمنتهم بما يجمع بين المصلحة وحكمة النص والمبدأ العام »[2] .

وهذا النظام قائم على التوحيد والأخلاق ،والتأكيد على أن البشر متساوون في الحقوق والواجبات مهما اختلفوا ،سواء أكان الاختلاف من حيث اللون أو الثروة فالأصل واحد .

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بقواعد عامة وشاملة فيما يخص المسائل التي تتطور بتطور البيئة والمجتمع ،هذه الضوابط أو القواعد لا تتطور بتطور الزمن .منها :المواريث والعبادات وأحكام الأسرة .كل هده الضوابط تخدم الإنسان وتوفر له كل الحقوق من بينها :

ـــ حق الحياة وصيانتها .وتخفيف القيود على غير القادرين .

ـــ حق الحرية بجوانبها المختلفة للفرد والجماعة مع وجود حماية هده الحرية والتي تشمل كل جوانب الحياة في إطار المبادئ الأخلاقية والاجتماعية التي نتعارض مع مصالح الفرد والمجتمع. [3]

---

[1] – أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط 10 ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان 1969 ، ص 75 .

[2] – أنور الجندي معلمة الإسلام ، ط1 ، المكتب الإسلامي. ص9 .

[3] – أنور الجندي معلمة الإسلام ، ط1 ، المكتب الإسلامي ص.10-11.

« وإلى جانب هدا قرر الإسلام أمران :شيء محرم،وشيء واجب .أما المحرم :فهو الربا وأما الواجب :فهي الزكاة ».[1]

فتحريم الربي منهج أساسي لتحرير الاقتصاد الإسلامي من جميع الأرباح التي ينجم عنها إلحاق الضرر بالمجتمع .[2]

أما تشريع الزكاة فهو يساعد على توزيع الثروة في ثنايا المجتمع ، وبدلك فهي تحول دون تكديسها في أيد قليلة.[3] وغيرها من الضوابط التي وضعها الإسلام لخدمة الفرد والمجتمع،والملاحظ في هده الضوابط التي استحدثها الإسلام في مجال الاقتصاد هي ضوابط أخلاقية لأنها فرع من المعاملات بين الناس،وبدلك فقد حدد لها الشرع الإسلامي حدودا لا تتعداها . وعلى الصعيد الاجتماعي فقد عمل الإسلام على تغيير المجتمع الجاهلي تغييرا جذريا فحطم رابطة المجتمع القبلي القائمة على الدم والنسب ، وأحل محلها رابطة الإيمان والاشتراك في الدين الواحد .[4]

كما جعل المسلمين سواسية لا يفضل الواحد على الآخر عند الله تعالى إلا بالتقوى ، وبهذا اعتنى الإسلام ببناء المجتمع وتنظيمه ، فوضع قواعد محكمة توطد الصلة بين الأفراد عن طريق المودة والرحمة والتعاون والإخاء ،والتساوي في الحقوق والوجبات بين أفراد الأمة ،فالإسلام هو الذي حرر الرقيق من رقة والمرأة من عبوديتها ، ونظم الأسرة

وشرع الكثير من الشرائع التي تزيد من وحدة المجتمع وقوته ،كالصدقة والزكاة والإحسان إلى دوي الحاجة، وأمر بالعدل ليستقيم المجتمع ويغمره الوفاق والمحبة ، وحرم الاعتداء على أموال الناس ، وأعراضهم ، ودمائهم ، وحرياتهم ،وحارب الرذيلة ، والعادات الفاسدة ، وبهدا كله فقد أسس المجتمع الإسلامي على قواعد صالحة ومتينة ، من الحب والإخاء والمساواة والتكافل الاجتماعي ، والرحمة والبر، فهو بدلك دين العدالة والكفالة الإجنماعيين اللذان يحققان السلام والطمأنينة والخير للناس جميعا في كل مكان وزمان (1).

---

[1] – أنور الجندي: معلمة الإسلام ، ص 21 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 20 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 23.

[4] – زبير الدراقي: المستقسي في الأدب الإسلامي ، ص 5 .

أما على الصعيد الخلقي فقد كانت للعرب بعض الصفات الخلقية ،كالكرم والشجاعة والتضحية ، وحماية الجار وغيرها ، هدا لا ينفي أنه كانت توجد صفات أخرى نهى عنها الإسلام ،كالفواحش ما ظهر منها وما بطن والظلم وسفك الدماء ، وهتك الحرمات ، وآكل الربى ، والغش في البيع ، وشهادة الزور ، والهزء بالناس والتنا ب ز بالألقاب والإسراف في الإنفاق، وحرم عليهم لخمر والميسر لأنها مصدر الآفات والرزايا. [1]

وبهذا فقد وضع الدين الجديد معطيات جديدة ، وأسس متكاملة ، فوضع للأخلاق مثلا عليا تخالف الجاهلية فكانت أهدافه التأكيد على تلك المبادئ الأخلاقية التي اتصفت بها العرب قبل مجيء الإسلام ، شرط أن تكون حصنا للحق ، وظهيرا للحيز ، ووسيلة لنصرة المظلوم ، ونجدة المهزوم ، وإنصاف الضعفاء ، ونفع الناس ،كما علمهم التعامل بالحسنى ،والصدق في القول والفعل ،وإتقان العمل ،والمحافظة على الأمانة ،والوفاء بالعهد ،والبر بالوالدين، والرأفة بالمستضعفين ،والإحسان إلى الفقراء والمساكين ،ورعاية اليتامى ،وإقامة العدل وطاعة أولى الأمر [2].

كما غير الإسلام الكثير من المفاهيم الأخلاقية ،فمثلا كان الكرم خلقا فاضلا في حياة الجاهلية لطالما تباهى بها المفتخرون وأشاد به المادحون وكان البخل رذيلة طالما هجا بها الشعراء وبرء منها الأسخياء ،ولكن كرم عرب الجاهلية كان من إملاء البيئة ،وكان وسيلة من وسائل الافتخار ،أما الكرم الذي دعا إليه الإسلام فإنه كان مظهرا للافتخار ،أما الكرم الذي هو من إملاء البيئة ،وكان وسيلة من وسائل الافتخار ،أما الكرم الذي دعا إليه الإسلام فإنه كان مظهرا لسخاء النفس ،وكرم اليد ورحمة القلب ،وابتغاء رحمة الله ،كما أن الشجاعة في الجاهلية كانت وسيلة للعدوان لطالما افتخر بها العرب على غيرهم ،وعند ما جاء الإسلام حاول توجيه الشجاعة إلى نصرة الأخلاق وحماية الدين ،وبالتالي ارتقى بدلالتها من معنى العدوان إلى معنى الجهاد ،ومن الفضائل التي جعلها الإسلام المحور لكل

---

[1] - زبير الدراقي: المستقسي في الأدب الإسلامي ، ص 5 .

[2]- المرجع نفسه، ص6.

الصفات الخيرة هي التقوى التي تحمل في طياتها صفات أخرى ،فالعدل من التقوى [1] قال تعالى «أعد لوا هو أقرب للتقوى »[أ] .

والعفو من التقوى أيضا قال تعالى «وأن تعفو أقرب للتقوى »[ب] .

والصدق هو قوله تعالى : «أيها الذين آمنو ا أتقو الله وكونو ا من الصادقين »[ج] والأمانة فرع من التقوى قال تعالى :«فليؤد الذي أؤتمن أمانته ،وليتق الله ربه»[د].

وبهذا أفقد عمل الإسلام على إبراز الأخلا ق الفاضلة ،والشيم الرفيعة ،وما لها من دور كبير في صياغة شخصية الإنسان المسلم العربي ،وقد تجلت كل هذه الأخلاق الفاضلة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، فبالأخلاق تصلح الأمور ويدرك الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة .

أما فيما يخص الصعيد الفكري والنفسي فقد كان عرب الجاهلية يؤمنون بالكهانة والسحر والشعوذة ،فلا يحكمون عقولهم في أمورهم الدينية والدنيوية ،فقد ملأت رؤوسهم الخرافات والترهات ،وتملكهم الجهل والأمية فكانوا يسيرون وراء أهوائهم وإبتغاءاتهم واعتقاداتهم الزائفة ،فلم يهتموا بالعلم من أجل تطوير حياتهم فانحرفوا عنه و لم يفتحوا أذانهم له ،وكذا عن نور الحق العقل والحق ،وعند مجيء الإسلام حارب الكثير من هذه الخرافات والأوهام التي سكنت عقول الجاهلين ،في المقابل دعا الناس إلى التفكير المنطقي واستخدام العقل في أمورهم ،كما حث على طلب العلم ،فحرك تلك العقول الجامدة المتحجرة وفتح الأذهان على أمور كثيرة مهمة من شأنها أن ترقى بالعرب وتبدل عقليتهم ،وتغير نفسيتهم ،وبهذا أصبح العقل في الإسلام مكانة عالية ومجال واسع للنظر في سر الوجود والتأمل فيه ،وإدراك حقيقته وماهيته[2].

---

[1]– جعفر إبن السيد باقر الحسيني تأثير الإسلام في حياة العرب .www.hawzah-net/per - ...ah/ ..ho1038.Aspia.net

[أ] – سورة المائدة :الآية 8 .

[ب] – سورة البقرة :الآية 237 .

[ج] – سورة التوبة :الآية 119 .

[د] – سورة البقرة :الآية 283 .

[2] – زوبير دراقي :المستقصي في الأدب الإسلامي، ص6 .

قال تعالى :«فلينظر الإنسان مما خلق»[أ]وآيات أخرى كثيرة في هذا الشأن ،فالإسلام رفع قيمة العقل ،وفتح له المجال واسعا في الدعوة الإسلامية وصحة البعث والنشور ،فالعقل السليم هو أي يرضى بالفضائل التي دعا إليها الإسلام فمثلا الوفاء بالعهد خلق محمود لا بطبقه لا يتبعه إلا العقلاء ونكث العهد صفة مذمومة يبتعدون عنها لأنهم يعتبروها منقصة [1] .

ومن هنا فكل ما أمر به الدين الحنيف أيده العقل السليم الفطن المدرك للأمور النافعة والضارة ،وكل ما نهى عنه الدين الكريم إلا ورفضه العقل السليم والضمير الحي .

كما حض الإسلام كذلك على العلم بغية القضاء على الجهل وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بنوعيه ،نور الهداية ونور العقل .فالإسلام لا يتعارض مع العلم ، [2] فقد جاء في أي القرآن الكريم تنويه به قال تعالى : « وقل ربي زدني علما »[ب]كما نوه بالعلماء في قوله «إنما يخشى الله من عباده العلماء » [ج] وفي آيات أخرى نجد أن الله تعالى فرق بين العلماء وغيرهم من البشر [3].في قوله جلت قدرته :«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب »[د]،كما أعد الله للعلماء مترلة عالية في الجنة لا تساويها إلا مترلة المؤمنين [4]

قال تعالى :« يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات »[ه] ونجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد رفع طلب العلم إلى مرتبة الفريضة الواجبة على كل مسلم ومسلمة في حديث مشهور : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »،وجعل للعلم قداسة مثل قداسة العبادة لأن العلم يعتبر من أسمى العبادة ،وفرق بين المعارف الجوهرية وغير الجوهرية ،أي التي ليس لها قيمة .

[أ] – صورة طارق الآية 5 .

[1] – زبير دراقي :المستقصي في الأدب الإسلامي، ص6 .

[2]– المرجع نفسه، ص7.

[ب] – سورة طه الآية 114.

[ج] سورة فاطر الآية 28.

[3]– جعفر بن السيد باقر الحسيني :تأثير الإسلام في حياة العرب .

[د] – سورة الزمر الآية 9.

[4]– جعفر بن السيد باقر الحسيني :تأثير الإسلام في حياة العرب .

[ه] – سورة المجادلة ، الآية 11 .

فكان في التعليم ما يحث على العطف والتحاب والتعاون والتآخي والرحمة ،فاكتسبوا الرقة في القلوب وأبعدوا خشونتهم وتركوا الفخر الجاهلي .[1]

وعلى الصعيد السياسي فقد جاء الإسلام برسالته الإنسانية الجامعة على أساس تنظيم الشؤون الدينية والدنيوية ،فالإسلام دين دولة وعقيدة وشريعة ،حاول أن يصوغ من القبائل العربية المتنافرة أمة واحدة ،وأن يقضي على عوامل الفرقة والتشتت التي غدتها تخون الجاهلية والعصبية القبلية ،ويجعلها تخضع لسلطان واحد ،وتعمل على تطبيق نظام سياسي واجتماعي ينطلق من المبادئ الإسلامية الجديدة التي حث ونص عليها الدين الجديد ،فصار المسلمون أمة واحدة موحدة يستندون في تسيير أمور حياتهم إلى القرآن الكريم باعتباره دستور الحياة[2] .

أما على الصعيد الأدبي واللغوي نجد أن القرآن الكريم قد أثر في اللغة والأدب العربيين ،حيث وحد لسان العرب وجمعهم على لهجة واحدة هي لهجة قريش الفصيحة والتي نزل القرآن الكريم بها على النبي- صلى الله عليه وسلم- وعلى أساس أن الفصاحة والبيان أقرب إلى نفوس القرشيين ،فقد اجتدبهم القرآن الكريم ببلاغته وسحر بيانه وإعجازه ،وبهذا انتشرت لهجة قريش وتوسع نقودها مع انتشار الإسلام في البلدان المفتوحة [3]، فصارت هذه اللهجة لغة الكثير من الشعوب ، ويرجع الفضل في هذا كله إلى القرآن الكريم من الشعوب ،ويرجع الفضل في هذا كله إلى القرآن الكريم الذي حفظ اللغة العربية من الاندثار وإبقائها حية دائما .

كما ساهم كذلك في تطوير أساليبها وتهذيب ألفاظها ،وإغنائها بمفردات إسلامية جديدة لم تكن عند عرب الجاهلية فأصبحت هذه اللغة قادرة على التعبير عن هذا التحول الذي شهده العالم الإسلامي .ومن أجل هذا كله

---

[1] زبير دراقي: المستقصي في الأدب الإسلامي ،ص7.

[2] جعفر بن السيد باقر الحسيني :تأثير الإسلام في حياة العرب . www.hawzah-net/per - ...ah/ ..ho1038.Aspia.net

[3] زبير دراقي: المستقصي في الأدب الإسلامي ،ص21.

قامت علوم كثيرة و مختلفة ،كالنحو والصرف لدفع اللحن عن القرآن الكريم ،والبلاغة لتبيان إعجازه والقراءات والتجويد لحن ترتيله ،والتفسير والفقه لاستنباط أحكام الشريعة منه .[1]

وعن تأثيره في الأدب الإسلامي –شعره ونثره – الذي أصبح يعبر عن دعوة الله فأدخل فيه التوحيد ،وزرع مكارم الأخلاق ،وهذب من حوشيه لفظه وغربيه ،وبدلك انتقل الشعر والنثر من مرحلة إلى مرحلة ،فقد كان يعبر عن أهواء النفس ،والعنف والانتقام ،والشجاعة والتباهي بالظلم ،فأصبح ينشر المبادئ الأخلاقية التي تحلى بها العرب قبل الإسلام ،فكان لها الأثر الواضح في تحمل مشاق نشر الدعوة الإسلامية في نفوس الشعوب [2]وعلى هذا أصبح الأدباء لا يقولون إلا ما أمره به الله سبحانه وتعالى –وأقره الرسول الكريم «ص».

---

[1] - زبير دراقي: المستقصي في الأدب الإسلامي ،ص22.

[2] -جعفر بن السيد باقر الحسيني :تأثير الإسلام في حياة العربho1038.Aspia.net.. /ah/... - www.hawzah-net/per .

الفصـــــــــل الثالث

مظاهر حداثية في الشكل

1– مطلع (مقدمة) القصيدة

2 –اللغة الشعرية

2–1 الألفاظ الإسلامية ودلالاتها الجديدة

2–2 البساطة والسهولة

2–3 الليونة والرقة

1- الديـــن:

الدين عنصر حداثتي باعتباره أكبر حدث في تاريخ العرب ، وبداية تحول خطير في حياتهم ،حيث تمكن من تغير بنية المجتمع الجاهلي تغيراجدريا ،فقد قضى علي العصبية القبلية وأحل محلها سيادة الدين ، وهكذا زالت الفرقة وتوحدت بفضله القبائل العربية وأصبحت أمة واحدة ،وهو دين متكامل في جميع شؤون الحياة لقوله تعالي«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» [أ].

« وقد عرف القرن الأول الهجري شعراء قدروا التحول الحضاري الضخم الذي جاء به الدين الإسلامي حق قدره»[1].

عن طريق أدبهم الذي يعتبر رسالة راقية ساهمت في بناء شخصية الأمة ، فقد كان الشاعر المسلم أو الأديب سيفا ضد الأعداء ، فأخد الشعر في هذه الفترة يساند هذا النظام الجديد الذي لم شمل القبائل العربية فصارت أمة واحدة .

يعبدون إلاها واحد لا شريك له ، بعدما كانوا يعبدون الأوثان و الأصنام ،وقد عبر "حسان بن ثابت " عن هذا التغير في شعره بقوله :

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد[2]

ومن هنا استطاع الرسول – صلى الله عليه وسلم – بفضل عقيدة التوحيد أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وذلك بتحولهم عما كانوا يعبدون إلى عبادة الله – سبحانه وتعالى – فاكتشفوا بذلك حقائق الوجود التي غيرت حياتهم كليا ، واهتدوا إلى نور الحق وأمنوا بالرسالة المحمدية ، وفي هذا يقول "حسان ابن تابت" :

فلما أتانا رسول المليـــ ك بالنور والحق بعد الظلم

ركنا إليه و لم نعصيه غداة أتانا من الأرض الحرم

[أ] -سورة المائدة الآية 03 .

[1]– حسن الأمراني : (الحداثة ... ماالحداثة ؟) ، مجلة المشكاة ، العدد 15 – 16 ، ص 117.

[2]– حسان بن ثابت: الديوان ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له : عبد أ مهنا ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص 54 .

وقلنا صدقت رسول المليك ه ـــلم إلينا وفـــينا أقـــيم

فنشهد أنك عند المليـــــ ك أرسلت حقا بدين قيم [1]

فالرسول"ص" بعث إلى الناس لكي يخرجهم من الظلمات الغي والضلال إلى نور الله سبحانه وتعالى، فصدقه المسلمون وأيدوه و لم يعصوه ، ونصروه في دعوته لأنها دعوة حق لادعوة باطل ، وأمنوا بأن هذا الدين مترل من عند الله لأنه

دين قيم ويقول "حسان بن ثابت"أيضا:

نور أضاء على البرية كلها من يهدى للنور المبارك يهتـــــــد [2]

وقال أيضا :

ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحـــــــــل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم- ومن يتبع الحق يرشـــد

وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتـــــــــد [3]

هذا التغير الذي طال الجانب الديني، ومس كذلك جميع جوانب الحياة، فأحدث فيها تغيرات جذرية .

فعلى المستوى الاجتماعي تمكن الدين الإسلامي أن يغرس في نفس الفرد المسلم قيما اجتماعية ، ساعدت على تقوية الروابط الإجتماعية ووحدت الأفراد وجعلتهم متلاحمين ومتضامنين في أوقات الشدة والرخاء ، فالدين الإسلامي حاول إعادة هيكلة البناء الاجتماعي وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فأعطى لكل فرد حقه وساوى بين الناس فالناس سواسية عند الله ،و أزال الدين الجديد ملامح التفرقة بينهم على أساس اللون والجنس ، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ،وقد تناول "حسان بن ثابت" في شعره بعض القيم التي زرعها الدين الإسلامي داخل المجتمع العربي ، كالتآخي والتآزر بين المسلمين خاصة في وقت الصعاب فيقول :

أمـــــام محمـــد قد أزروه على الأعداء في لفح الحروب

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 221 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 65 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 59-60 .

بأيديهم صوارم مرهفات وكل مجرب خاظي الكعوب

بنو الأوس الغطارف آزرتها بنو النجار في الدين الصليب [1]

وقال أيضا :

نصروا نبيهم وشدوا أزره بحنين يوم تواكل الأبطـــــــــال [2]

يذهب "حسان" إلى القول بأن المسلمين قد آزروا النبي وأعانوه في حروبهم ضد أعدائهم ، كما حدث في وقعة "بدر" التي تلاحم وتآزر فيها "بن النجار "و"بن أوس" مع النبي (ص)،فكانت الغلبة للمسلمين بسبب تآزرهم وقوة صلابتهم .

وقال وأيضا في دعوته إلى التراحم بين المسلمين :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا [3]

فالمسلمون في الحرب أشداء على خصومهم ، لكنهم مع أنصارهم وأتباعهم نجدهم رحماء فيما بينهم .

لم ينه الإسلام المسلمين عن بعض المبادئ الخلقية و العادات التي تحلى بها العرب قبل الإسلام ،فأخذ جميع محاسن العرب في الجاهلية وكملها بحلية الدين شرط أن تكون حمى للعقيدة وحصنا للحق ،والشعر مند القديم يؤدي رسالة إنسانية وينشر قيم خلقية وفنية ممتدة الجذور من فطرة الله فطر الناس عليها ، وقد تكلم الشعراء عن أخلاق العرب في الجاهلية و الإسلام فيقول "حسان" وصفا كرم قومه في الجاهلية فالكرم كان موجودا قبل الإسلام واستمر كذلك من بعده فيقول :

وإنا لنقري الضيف إن جاء طارقا من الشحم ما أضحى صحيحا مسلما .

ألسنا نرد الكبش عن طية الهـــوى ونقلب مران الوشيج محطـــــــــما [4]

وقد شجع الإسلام على هذا الخلق وحث الناس على التحلي به في حياتهم .

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 24–25 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 196 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 152 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 219 .

فقال عن الكرم أيضا :

أولئك قومي فإن تسألي كرام إذا الضيف يوما ألم

عظام القدور لأيسارهم يكبون فيها المسن السنم[1]

ويقول أيضا :

ومنادة ربي خصهم بكرامة حجاب بيت الله ذي الأستار

أهل المكارم والعلى ونداوة النـــ ادى وأهل لطيمة الجبـــــار[2]

كما شدد الإسلام على ضرورة صون عرض المسلم وأعراض المسلمين ،لأن في ذلك حفظ لكرامة الفرد وتثبيت لأصول المجتمع فصلاح الفرد صلاح لمجتمعه كله ، فيقول "حسان بن تابث ":

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لابارك الله بعد العرض في المـــال

أحتال للمال إذ أوذى فأجمعه ولست للعرض إذا أودى بمحتال[3]

قال أيضا :

ويعلم أكفائي من الناس أنني أنا الفارس الحامي الذمار المناجد[4]

" فحسان " يدعو إلى حفظ العرض والشرف ووقايته من الدنس، فالله لا يبارك في مال الإنسان إن دنس شرفه وتلطخ ،وهذا تأكيد على قيمة العرض ومنزلته في حياة الأفراد ،لأن فقدانه في الحياة أمر صعب جدا ،فيقول " حسان " إن المال إن نفذ وضاع فيمكن تعويضه واسترجاعه وجمعه ،أما العرض إن فسد فلا يمكن استرجاعه وإصلاح ما فسد أبدا .

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص220 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 122.

[3] – المصدر نفسه ، ص 192 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 75.

فهذه «القيم والأخلاق ليست متطورة ومبتذلة ،لأن وراء هذه الأخلاق ميزانا ثابتا وهو الدين الإسلامي» [1] .

وبهذا فالأخلاق صالحة لكل العصور لأنها نابعة عن الدين الإسلامي ،والملاحظ أن شعراء الحداثة الآن يتغنون بالأخلاق في أشعارهم.

أما سياسيا فقد احدث الدين الإسلامي تغيرات كثيرة ، خاصة بعد ظهور الدين بفترة وجيزة ،ترتب عنه ظهور خلافات وصراعات بين مناصري الدين الإسلامي ومعارضيه ، وقد كانت قريش أكثر القبائل العربية عداء والتي عملت علي محاربته ومحاولة القضاء عليه ، فأجبرت مناصري الدعوة علي الهجرة إلي المدينة المنورة ، ومن تم قامت حروب بين الأنصار والمشركين ،وبدأت مواجهات بينهما .

وقد واكب "حسان " هذه المعارك الطواحن بشعره ، وسجل الانتصارات والانهزامات ، فكان سجلا للأحداث الدائرة بين المسلمين والمشركين ،فأطلعنا بذلك على أخبار الرسول (ص)، وهكذا كان شعره فاتحة للشعر السياسي الذي ازدهر في عهد بني أمية[2].

ومن أشعار "حسان بن ثابت "التي جسدت ذلك الصراع ، والتي بينت انتصارات المسلمين وانهزاماتهم قصيدة جمع فيها عدة أيام من أيام المسلمين على المشركين يقول فيها :

ويوم قريش إذا أتونا بجمعهم وطئنا العدو وطأة المتثاقـــل

وفي أحد يوم لهم كان مخزيا نطاعنهم بالسمهري الذوابل

ويوم ثقيف إذا أتينا ديارهم كتائب نمشي حولها بالمناصـــل

ففروا وشد الله ركن نبيه بكل فتى حامي الحقيقة باسل

ففروا إلى حصن القصور وغلقوا وكائن ترى من مشفق غير وائل [3]

---

[1]- سعيد حوى : دراسات منهجية هادفة حول الأصول الثلاثة ، الله ، الرسول ، الإسلام ، راجعه سليمان وهبى الفاوجي ، ط3 ، الجزء الأول دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ص 55 .

[2]- زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي ، ص38.

[3]- حسان بن ثابت : الديوان ، ص187- 188 .

فقد انتصر المسلمون يوم " قريش" – ويعني به يوم بدر- ثم يذكر يوما أخر من أيام المسلمين المشهود فيقول "حسان بن ثابت " إن في " أحد" كان للأعداء يوم كله خزي ، ثم يذكر " يوم ثقيف" الذي كان التصرفيه للمسلمين.

و لم ينجر عن مجيء الإسلام صراعات فقط ،بل لقد ألغى الكثير من المفاهيم التي كانت لدى العرب واستبدلها بمفاهيم أخرى نابعة من الدين الجديد ،لكي يتماشى مع ما أمر الله به ومع ما نهى عنه.

وبهذا فمدلول النصر لم يعد نفسه في الإسلام ،بل تغير عن الجاهلية كثيرا ، فصار توفيقا من الله سبحانه وتعالى فالجاهليون كانوا يرون أن النصر لا يتحقق إلى بالقوة المادية المضاعفة ،بمعن أن الكثرة هي الغالبة أبدا ، لكن الإسلام أضاف إلى هذه القوة قوة جديدة هي قوة الإيمان بالله تعالى ، لأن النصر لايتأتي إلا بها،لقوله تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » [أ] فقد ثبت في مختلف المعارك والغزوات التي دخلها المسلمون ضد أعدائهم ،أن عددهم فيها كان أقل من عدد خصومهم بأكثر من مرة، لكنهم انتصروا فيها ،بفضل الله الذي أعانهم على ، خصومهم.[1]

وقد تناول " حسان " انتصارات المسلمين مؤكدا أن النصر من عند الله ، فيقول حسان :

فأنزل ربي للنبي جنوده وأيده بالنصر في كل مشهد[2]

وقال حسان أيضا :

وغدوا علينا قادرين بأيدهم ردوا بغيظهم على الأعقاب

بهبوب معصفة تفرق جمعهم وجنود ربك سيد الأرباب

وكفى الإله المؤمنين قتالهم وأثابهم في الأجر خير ثواب

من بعد ما قنطوا ففرج عنهم تتزيل نص مليكنا الوهاب[3]

[أ] – سورة البقرة ، الآية 249 .

[1] – أنور الجندي : معلمة الإسلام ، ص 425 .

[2] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 93.

[3]– المصدر نفسه ، ص23.

لقد أعان سبحانه وتعالى المسلمين ، يوم زحفت جيوش المشركين نحو المدينة يريدون قتل النبي ، وبذلك يظفرون بالنصر ، إلا أنهم نكصوا علي أعقابهم خاسئين،حيث هبت ريح عاصفة سخرها الله سبحانه ، لكي تمزق جمع المشركين كما أمدهم الله بقوة أخرى متمثلة في الملائكة الكرام ، بعدما كاد اليأس يتمكن منهم ، عندما رأوا قوة الأعداء المادية ، لكن الله نصر عباده المؤمنين لقوله تعالي : «ياأيها الذين امنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [أ].

فالبطولة في الإسلام صارت عملا في سبيل الله ويبقي علي مر الأيام والهدف منها هو نيل رضا الله سبحانه وتعالي ,فالإسلام أضفي علينا طابعا ايجابيا يخدم من خلاله مجتمعه ,فالبطولة انبثقت من العقيدة الإسلامية التي غيرت النفوس ،وصبغت القلوب بالأيمان , وليست مما هو موروث متعصب , فهي تكريم للأفراد وتنويه بما فعلوه من أعمال جليلة ودعوة إلي العمل بمثلها [1].

وبهذا فالإسلام أعاد صياغة مفهوم البطولة ،إذ حررها من روح الاستغلاء والغرور والظلم والقوة ،وإراقة الدماء ،وجعلها بطولة تتسم بالرحمة السمحاء ،فأصبحت تقوم على حماية الذمار ،وإطعام الفقير ورعاية اليتامى وجعل أبرز معاني البطولة مجسدة في المروءة التي تتضوي على معاني الكرم والجودة ،وحسن الجوار ،وإغاثة الملهوف وكذا الوفاء بالعهود ، فالقرآن أسقط مفهوم البطولة لدى الجاهلين ورفضه لأنه لايقوم على مبدأ خلقي ،وقدم بذلك نماذج للبطولة تمتلت في الأنبياء الأبرار ، الذين حملو على عاتقهم مسؤولية تبليغ الديانات السموية التي أنزلها الله سبحانه فعملوا على تحرير العقول من زيف الوثنية والعبودية لغير الله سبحانه . (1)

وبالتالي فالبطولة في الإسلام بطولة أخلاقية ،وقد تحدث "حسان بن تابت " في شعره عن مفهوم البطولة الحقيقية التي دعا إليها الإسلام ،فيقول عن نجدة المظلوم ومساعدة المستغيث :

يواسون مولاهم في الغنى ويحمون جارهم إن ظلم [2]

[أ] – سورة محمد: الآية 7 .

[1] – أنور الجينيدي : معلمة الإسلام ، ص 145 – 149 .

[2] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 220 .

وقد كان الوفاء بالعهد عملا بطوليا بالنسبة لصاحبه ولمجتمعه، لأن التقيد به أمر صعب فلا يستطيع أي كان أن يحافظ عليه ويصونه، فهو ليس بالأمر الهين في الإسلام ،فيقول " حسان بن ثابت " واصفا معظم بن عدي بن نوفل بالوفي لعهوده ووعوده فيقول :

لقالوا هو الموفي بحفرة جاره وذمته يوما إدا ما تدمما

فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله منهم أعز وأكرما

إباء إذا يأب وأكرم شيمة وأنوم عن جار إذا الليل أظلما [1]

وعن حسن الجوار يفاخر "حسان " بقومه ،فيقر بحسن الجوار للذي يقيم بينهم ،وأن كرامته محفوظة مادام يعيش معهم فيقول :

وجارهم بعلياء بيته له ما ثوى فينا الكرامة والبذل [2]

بالإضافة إلى هذا تعتبر البطولة تضحية وموت في سبيل الله ، فالدعوة المحمدية ضمت في نضالها الطويل ضد المشركين أبطالا كانوا على قدر كبير من الشجاعة والمروءة ، والبساطة ، فتحققت على أيديهم انتصارات وفتوحات عظيمة ، وقاموا بنشر الإسلام في رحاب الأرض كلها ، ودافعوا عن الإسلام بكل ماتحميله هذه الكلمة من معان جليلة ، فيقول "حسان بن ثابت " واصفا الصحابي " الزبير بن العوام " بالفارس البطل :

أقام على منهاجه وطريقه يوالي ولي الحق والحق أعدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم محجل

إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بأبيض ساق إلى الموت يرقل [3]

لقد أقام الصحابي على نهج النبي وسار على الطريق الذي رسمه للمسلمين ،فهو دائما ينصر الحق ويدعمه ،فهو الفارس البطل المشهور الذي لا يتوان ويتراجع عند اشتداء الحرب ،لأنه السباق إلى إشعال نارها وإثارتها فهو بطل يذود عن الإسلام بسيفه ويسلطه على الأعداء.

---

[1]– حسان بن ثابت : الديوان ، ص 236 .

[2]– المصدر نفسه،ص 193 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 199.

وبهذا عمل الدين على تجديد الحياة وتطورها والارتقاء بها ، لأنه حركة دائمة نحو الرقي والتطور ودعوة مستمرة للتجديد والتحديث ،فكان عامل تطور الأمم ،و لقد جاء الإسلام إلى الناس كافة لا يختص بأمة دون أخرى ،ولا يقتصر على زمن دون أخر ،فهو دستور الكون .فقد توالت الأزمنة والعصور إلا أنه باق كما هو ،يتماشى مع ضروريات كل عصر ،فهو يملك قابلية التأقلم مع كل متطلبات الحياة وحفظ خصوصيات كل عصر والتكيف مع التطورات الحاصلة في الحياة [1] .

وبذلك فالدين الإسلامي دين متكامل متناسق وشامل ومتوازن لم يتناول جانبا واحدا من جوانب الحياة ،بل عالج ومس كل جوانبها .

لذا امتاز بالشمولية ،إضافة إلى قدرته على إعطاء الحلول لجميع المشاكل ، مع نظرة إنسانية وإرسال ورسالة عالمية خيرة وقيم ومثل ،وهذه الخصائص تجعل منه مصيرا للعالم أجمع .

والدين الإسلامي دين العصور مع كل ما يحدث من تغيرات واستمرار فهو الذي بجميع بين الحديث في السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين والأدب ،فقد نظم جميع شؤون الحياة تنظما دقيقا متناسقا، فالعقيدة الإسلامية تتميز بالرحابة لأنها ترتبط بعالم الغيبيات فهي تنظر إلى الحاضر من خلال الماضي، وستشرق المستقبل من خلال الماضي والحاضر ،كل هذا أكسب الدين حداثة مطلقة ايجابية خادمة للإنسانية .[2]

---

[1]– عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية ، ص 67 .

[2] – عز الدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص 22 .

1- 1- العبادة والتوحيد :

العبادة هي طاعة الله وامتثال لأوامره ونواهيه في جميع " مجالات الحياة ،مع منتهى الإخلاص والتسليم والتعظيم والمحبة له والخشية منه " [1] .

« والعبادة ترجمة عملية لإيمان الإنسان بربه، فبقدر صدق إيمانه ، وثبات عقيدته تظهر استقامة أعماله في الحياة ومدى إلتزامه بأوامر الله ونواهيه ، وهي تحفظ على الإنسان أخلاقه وتعززها،وتحميه من الوقوع التزامه بأوامر الله ونواهيه » (1) . وهي تحفظ على الإنسان أخلاقه وتعززها ، وتحميه من الوقوع في الشهوات والرذائل والانغماس فيها ،فمن أهم مزاياه في الإسلام أنها خالصة لله وحده حيث يقول نعالى : " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين "[أ] .

كما أنها صلة مباشرة بين العبد وربه ولا تحتاج إلى واسطة ،وتقوم أيضا على اليسر ورفع الحرج.

والعبادة لا تتجلى إلا بتوحيد الله سبحانه وتعالى، والإيمان به خالقا للحياة و للموت ،وخالقا لهذا الكون ،الذي سخره للإنسان باعتباره أسمى المخلوقات ،لذا كرمه الله بالعقل ودعاه إلى التأمل في حقيقة الوجود ،بهدف اكتشاف حقيقة كبرى متمثلة في عباده الله وحده وعدم الشرك به ،والتسليم بقضائه وقدره ،بأنه مالك الأرض ومن عليها [2] .

فهذا حسان بن ثابت يقر ويصدق بوحدانية الله ،وبأنه المالك لكل شيء، وقضاؤه لا يرد ،بل يقع كما سطره هو للعالمين إذ يقول:

آلا يـــــــــا لقوم هل لما حم دقفع و هل ما مضى من صالح العيش راجع.

و نعلم إن الملك لله وحده و أن قضاء الله لا بد واقع [3]

---

[1] – عز الدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ،دار الشهاب ، ص 111.

[أ] – سورة الأنعام ،الآية 162 .

[2]– عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهمية والنقدية ط1 ، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع 2006 ،ص 12.

[3] – حسان بن ثابت : الديوان ،ص 154 -155 .

و قال أيضا :

أمير علينا رسول المليـــ ك احيب بذلك إليك أميرا

رسول نصدق ما جاءه من الوحي كان سراجا منيرا [1]

"فحسان بن ثابت يؤكد في أبياته على أن الله سبحانه و تعالى هو خالق كل شيء لذا وجب على المسلمين عبادته و طاعته ،وذلك بالإيمان بالرسالة المحمدية ،فالرسول صلى الله عليه و سلم هو أمين الله في الأرض و قائد المسلمين لأن الله سبحانه و تعالى اصطفاه و خيره و فضله على البشرية كلها ،لذا وجب التصديق بما انزل عليه من عند ربه من الوحي لأنه سبيل الخلاص و النجاة من الغي و الضلال.

و بهذا فعبادة الله جاءت شاملة لجميع جوانب الحياة لأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى و يرضاه من أقوال و اعمال ظاهرة و باطنية ،و جميع أعمال الإنسان قائمة على الإيمان بالله و اليوم الآخر إذا أديت على وجه مشروع من عباده [2] .

و قد أكد " حسان بن ثابت " في شعره على أن العبادة لا تكون إلا لله تعالى فيقول :

أنت ألاه الخلق ربي و خالـــــقي و بذلك ما عمرت في الناس اشهد

لك الخلق و النعماء و الأمر كله فإياك نستهدي و إياك نعبـــــد [3]

فعبادة الله و توحيده و عدم الشرك به ،قضية جديدة جاء بها الدين الإسلامي ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور ،و هي تمثل قضية معرفية مع ما كان سائدا في الجاهلية من عبادة الأوثان و الأصنام فالعبادة لا تكون إلا للواحد الأحد .

---

[1] – حسان بن ثابت ،ص 128 .

[2] – عز الدين التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ،ص 116 .

[3] – حسان بن ثابت : الديوان ،ص 54-55 .

1-2- الجهاد و الدفاع عن العقيدة :

الجهاد في الشريعة الإسلامية هو بذل الوسع في قتال الأعداء لإعلاء كلمة الله - سبحانه وتـــعالى - أي هو القتال في سبيل الله – سبحانه – [1].

ويعد الجهاد فرضا من الفروض التي ألزم الله سبحانه بها عباده فقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : «أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » [أ].

وفي قوله عزوجل - «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلوكم كافة» [ب].

وفي هذه الآيات دعوة صريحة إلى الجهاد في سبيل الله ،وللجهاد ثلاثة أنواع وهي : الجهاد بالنفس ،وجهاد بالمال وجهاد باللسان .

فالجهاد بالمال يتم ببذل المال وإنفاقه في سبيل الله لإعداد المجاهدين وتجهيزهم ،وقد جعل الله – سبحانه – الجهاد بالمال مماثلا للجهاد بالنفس . [2]

و في هذا يقول " حسان بن ثابت " :

و فينا إذا شبت الحرب سادة كهول و فتيان طوال الحمائم

نصرنا و آوينا النبي و صدقت آوائلنا بالحق أول قائـــــل

و كنا متى يغز النبي قبيلـــــة نصل حافتيه بالقنا و القنابل [3]

يؤكد حسان أنهم مستعدون للحرب سادة و كهولا و فتيانا فهم نصروا النبي وآووه ،و صدقوا ما جاء به فكانوا إذا غزا النبي -صلى الله عليه وسلم- قبيلة من الكفار أحاطوا به و افتدوه بأرواحهم و أموالهم .

---

[1] - عزالدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ،ص 133.

[أ] - سورة التوبة ،الآية 41 .

[ب] - سورة التوبة ،الآية 36.

[2]- عزالدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص 135.

[3]- حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 187.

أما الجهاد باللسان فيكون بإقامة الحجة على الكافرين و الكشف عن أباطيلهم ،كما يكون بزيادة حماسه المحاربين من المسلمين ،و ذلك بما يثبت أقدامهم ،و يثير في نفوسهم العزم على نيل النصر ،و بضعف نفوس الأعداء و يقتل روحهم المعنوية سواء أكان ذلك بالخطابة أو الكتابة أو الشعر [1].

و عن هذا يقول " حسان بن ثابت ":

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء[2]

يصف "حسان بن ثابت " لسانه و يشبهه بالسيف القاطع الذي يفحم الخصوم ،و ذلك لان شعره كالبحر النظيف لا تؤثر فيه الدلاء و لا تكدره .

و الجهاد بالنفس يكون بخروج المسلم لمواجهة الأعداء و مقاتلتهم ،وهو أعلى مراتب الجهاد ،وقد اعد الله لمن يبدل نفسه في سبيل الله ثوابا عظيما و أجرا كريما ،و ذلك لأنه بذل اعز شيء لديه و هي النفس .[3]

تصديقا لقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ،تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » [أ].

فالجهاد في الإسلام لا يكون إلا في سبيل الله تعالى تحقيقا لقوله تعالى : «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله » .[ب]

فالجهاد ليس هدفه الحصول على الشهرة أو تحقيق غرض دنيوي شخصي ،و لم يكن أيضا من اجل أجبار الناس على الدخول في الإسلام ،لان هذا يتنافى مع مفهوم العقيدة القائم على التصديق القلبي ،بل الجهاد وسيلة لهداية البشرية و إصلاحها ،فمن بواعثه حماية الدعوة الإسلامية بإزالة كل العقبات التي تحول دون تبليغها للناس ،و حماية الإسلام ودفع العدوان عن الأمة ، فالإسلام حق ولا بد للحق من قوة تحميه ، و تحمي المستضعفين من المسلمين حتى لا يتعرضوا للفتنة في ديار الكفر.[4]

---

[1] – عز الدين الخطيب التميمي و آخرون :نظرات في الثقافة الإسلامية ص،136-137.

[2]– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص21 .

[3] – عز الدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ،ص 234-235 .

[أ] – سورة الصف ،الآية 10-11 .

[ب]- سورة النساء الآية 76 .

[4] – عز الدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ،ص 136-137.

و عن هذا يقول "حسان بن ثابت "

وجاهدوا في سبيل اللهو اعترفوا للنائبات فما خاموا و ما ضجروا[1]

فالجهاد قضية جديدة جاء بها الإسلام ،و استحدثها لما فيها من خير تراب للمسلمين عند الله تعالى ،فالعرب لم تعرف هذه الكلمة إلا بظهور الإسلام ،فصار الموت جهاد في سبيل الله ،و رفعا لراية الإسلام و المسلمين ،فهو مطلب كل مسلم امتلأ قلبه بالإيمان الصادق و تعاليم العقيدة ،و هذا بهدف نيل شرف الشهادة ،فكان من يجاهد يموت من اجل نصره الإسلام يسمى شهيدا .قال تعالى:«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ».[أ]

«فالجهاد يمثل ذروة سنام الإسلام له آثار جبلية في حياة المسلمين فهو نصر و تمكين و عزة في الدنيا بالإضافة إلى ما أعده الله لعباده من أجر عظيم » [2] .

فيقول "حسان بن ثابت " يرثي شهداء "مؤتة "الذين استشهدوا في سبيل الله في حرب مع الروم :

فلا يعبدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون النقيبة أزهر

فطاعن حتى مات غير موسد بمعترك فيه القنا يتكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه جنان و ملتف الحدائق اخضر [3]

يخبرنا " حسان بن ثابت " في هذه القصيدة عن شهداء "مؤتة" الذين أبلوا بلاء حسنا في دفاعهم عن الدين الإسلامي من بينهم " زبد بن حارثة "، " عبد الله بن روحة " و"دو الجناحين جعفر " هذا الأخير الذي قطعت يداه في المعركة ،فقيل أن الله تعالى عوضه عنها جناحين في الجنة ،وأن الذين استشهدوا في سبيل الله سيكون مثواهم الجنة إن شاء الله.

---

[1] – حسان بن ثابت :الديوان ،ص120.

[أ] – سورة أل عمران الآية 169.

[2] – عز الدين الخطيب التميم وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص 138 .

[3]– حسان بن ثابت :الديوان ،ص 108 .

ومن هنا أصبح للموت غاية سامية في الإسلام ،لأن الموت الذي يأتي عن طريق الجهاد ينهي حياة الفرد في الدنيا ويقطع عمله ،لكن في مقابل ذلك هناك حياة أخرى هي حياة النعيم الدائمة .

وانطلاقا من هذا المفهوم للجهاد ،وبفضل تعاليم العقيدة السمحاء ، التي لقيت صدى عند المسلمين ،فقد عملوا على نشر الدين الجديد في أرجاء المعمورة ،وبذلك اندلعت حروب بين المسلمين والمشركين ،هذه المجابهات عرفت في تاريخ الإسلام باسم " الغزوات والفتوح " وقد عبر " حسان بن ثابت " عن هذه المعارك في شعره ،وسجل الانتصارات والانهزامات ،فكان الفوز للمسلمين في غزوتي بدر (سنة 2هـ) والخندق (سنة 5 هـ) ،وكان " الانتصار للمشركين في غزوة أحد (سنة 3هـ) وقد أطلق على هذا النوع من الشعر بشعر المغازي والفتوح [1] .

ومما قاله " حسان بن ثابت " في وصفه غزوة " بدر" الكبرى مفتخرا بشجاعة الأنصار الذين أنزلوا هزيمة نكراء بالمشتركين .

إذا يقول :

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة أبارتنا الكفار في ساعة العسر

قتلنا سراة القوم عند رحالهم فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر

قتلنا أب جهل وعتبة قبله وشيبة يكبو لليدين وللنحر

تركنا هم للعاويات تنوبهم ويصلون نارا بعد حامية القعر [2]

تعد هذه الأبيات من الشعر السياسي وهو الذي يتحدث فيه الشاعر عن الصراعات الدائرة بين المسلمين والمشركين والتي أدت إلى نشوب حروب طاحنة بينهما ، فخلد الشعراء الانتصارات وسجلوا والانهزامات.

"فحسان"في تلك الأبيات يشيد بانتصارات المسلمين،فيخبر أهل مكة بما فعله المسلمون وما الحقوه من هزيمة شنعاء بالمشركين،فقد قتلوا أشراف قومهم أمثال :"أبا جهل"،"عتبة"،و"شيبة" وقد تركوا للوحوش المفترسة تنهش لحمهم، وبعد هدا سيكون مصيرهم نارا يصلونها.

---

[1] – زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي ، ص 38 .

[2] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 113 -114 .

وفي غزوة "قريظة" التي قادها الرسول – صلى الله عليه وسلم– ضد يهود يثرب ،عند نقضهم العهود وتحالفهم مع القريشين في غزوة الأحزاب يقول :

لقد لقيت قريظة ما عظاها وحل بحصنها ذل ذليل

وسعد كان أندرهم نصيحا بأن إلههم رب جليل

فما برحوا بنقض العهد حتى غزاهم في ديارهم الرسول [1]

فقد الحق المسلمون بالكفار في هده الغزوة هزيمة نكراء ،ونكلوا بهم شر تنكيل ،فبمجرد نكثهم العهد غزاهم الرسول – صلى الله عليه وسلم– في عقر دارهم.

وقال في غزوة "احد" يصف فيها بلاء المسلمين الحسن، وعلى رأسهم بنو النجار الدين حموا رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ودافعوا عنه وقد جرح وقتل عمه "حمزة" فيها.

وقل إن يكن يوم بأحد يعده سفيه فان الحق سوف يشيع

وحامى بنو النجار فيه وضاربوا وما كان منهم في اللقاء جزوع

أمام رسول الله لا يخذلونه لهم ناصر من ربهم وشفيع

إلى أن يقول:

فإن تذكروا قتلى وحمزة فيهم قتيل ثوى لله وهو مطيـــــع

فإن جنان الخلد منزله بها وأمر الذي يقضي الأمر سريع

وقتلاكم في النار أفضل رزقهم حمم معا في جوفها وضريـع [2]

فحسان يوجه كلامه "لأبن الزبعري " فيقول له :إن يكن يوم بأحد يعهده سفيه، ويقصد بالسفيه "ابن الزبعري " أحد أيامهم لأن النصر في هذه الغزوة كان لقريش (الكفار)، فإن الحق سوف يظهر ويشيع بين الناس ،وسيقفون على الحقائق كلها ،وقد حامى "بنو النجار" ودافعوا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) و لم يتخلوا عنه و لم يخذلوه

---

[1]– حسان بن ثابت: الديوان، ص 158 .

[2]– زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي ، ص8.

فهو ناصر لهم من الله تعالى وشفيع لهم يوم القيامة عند رب العلمين ،وينهاهم عن ذكر قتلى المسلمين وفيهم حمزة الذي مات شهيدا في سبيل الدفاع عن الدين ،فمترلته في جنة الخلد ،أما قتلاكم أيها الكفار ففي جهنم وساءت مصيرا ،فحسان دائما يدافع عن الدين الإسلامي ويفحم المشركين ويسكت ألسنتهم .

وفي سبيل إعلاء كلمة الله تعالى نهض المسلمون الفتح وخرجوا من ديارهم وخيمهم فاتحين الأمصار ظافرين بالنصر المبين بسيوفهم وألسنتهم ،وكانت النتيجة «أن احتكوا بأقوام أخرى واطلعوا على حضاراتها فوقعت المصاهرة بين الفاتحين وغيرهم واختلطت الأنساب على توالي الأجيال وترتب عنها الأخذ بأسباب الترف ،وتمصير المدن ،وإنشاء العلوم المختلفة وتطور اللغة العربية وآدابها بفضل الروافد الأجنبية » [1]

ولحسان قصيدة عن فتح مكة يقول فيها:

عدمنا جيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

يبارين الأعنة مصعدات على أكتافيها الأسل الظمـــاء

تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النســـــــاء

فإما تعرضواعنا اعتمرنا وكان الفتح والكشف الغطاء

وإلا فاصبروا الجلاد يوم يعز الله فيه من يشـــــــاء [2]

فهو يدعو على خيل المسلمين بالهلاك إن لم تحقق هدفها،وهو دخول مكة مث يرة الغبار بـ"كداء" ورفع راية الإسلام فوقها ، ويهدد قريش بالحرب ،ويذكر وسائل القتال من خيل ورماح يبين استعداد جيش المسلمين للقتال وإدخال الرهبة من قلوب الأعداء ،وأنهم مهزومون أمام جيش المسلمين فتخرج نساؤهم لرد الخيول ،وإيقافها فيقمن بتلطيم وجوه الخيل بخمرهن .

---

[1]– زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي ، ص8.

[2]– حسان بن ثابت : الديوان ،ص 19 .

فيقول :

فإما أن تتركونا ندخل لتأدية العمرة بسلام ،وليكن السلم بيننا ،و إلا فستقوم الحرب ويكون النصر فيها للمسلمين ،فكان لانتصار الإسلام على الكفر يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة فاتحة عهد جديد ،ثم انطلقت الفتوح في بلدان العالم مثل أسيا ،وأفريقيا وأوربا .

فقد ساير وواكب شعر "حسان "المغازي والفتوح في عهد الدعوة المحمدية ،وعبر عن الحوادث والوقائع التي جرت بين المسلمين والمشركين ،وذلك عن طريق هجاء المناوئين للرسول – صلى الله عليه وسلم – والافتخار بشجاعة المسلمين ورثاء شهداء الغزوات والفتوح .

وبما أن الحداثة هي مواكبة قضايا العصر والتعبير عنها بصدق " فحسان بن ثابت " شاعر حداثي لأنه عبر عن قضايا عصره وسايرها ،إضافة إلى أن شعر "المغازي والفتوح " الذي جاء به "حسان" شعر جديد ،والذي يعتبر فاتحة الشعر السياسي في تلك الفترة ،والذي أزدهر في عهد بني أمية .

ولقد تحولت وظيفة الشعر في العصر الإسلامي ،فأصبحت تسير على نهج خاص رسمه لها القرآن الكريم بما جاء من أحكام توجيهية جعلت الشعر مقيدا بها ولا يحيد عنها ،إذا إن من « وظائف الشاعر الدفاع عن عقيدته ومجتمعه ودينه وقيمه بالكلمة الطيبة والشعر الهادف شعر الحق والجهاد ...يوظفه في الخير والحق وإشاعة الفضيلة ونصرة الدين الجديد ومحاربة الباطل وأهله » [1] .

فارتباط الشعر بالإسلام قد أكسبه حلة جديدة وأعطاه طابعا خاصا به ،يتلاءم وطبيعة الحياة الجديدة ،فكان هدف الشاعر تسخير شعره للدفاع عن العقيدة الإسلامية في ظل رفض المشركين من قريش الإيمان بها وإتباع طريق الهدى نتيجة لهذا نشأت معارك لسانية دامية بين المشركين والمسلمين ،وكانت غالبا في المدح والهجاء ، هذين الغرضين اللذين حافظ الإسلام عليها ،لكن مع إضفاء تعديلات بغرض خدمة الدين الإسلامي .

---

[1]- عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهمية والنقدية ، ص 110 .

وبهذا نصب "حسان بن ثابت " نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي ،ومدح الأنصار وإعلاء شأن الرسول – صلى الله عليه وسلم –والرد على شعراء الجاهليين المشركين [1].

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – ينهى عن الهجاء القائم على الإفذاع في القول والفحش والقذف ،وبذلك رفض الإسلام كثيرا من الهجاء الذي تسبب في هتك الأعراض وإبداء المؤمنين ،وتجريح الأبرياء وسب [2]. الصالحين ، وفي المقابل أجاز الهجاء عندما يكون دفاعا عن الحق وذما للباطل .

كما فعل الرسول –صلى الله عليه وسلم– في تشجيعه لشعراء المسلمين بهجاء المشركين وعلى رأسهم "حسان بن ثابت " حيث قال له الرسول –صلى الله عليه وسلم–: «أهجهم وروح القدس معك » [3] .

وهذا لرفع راية الإسلام ،والدفاع عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ،والرد على افتراءات المشركين الكاذبة .

أما أسلوب "حسان بن ثابت " في هجائهم ، فقد كان يعمد إلى الواحد منهم فيفصله عن الدوحة ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعنا شنيعا ، ثم يسدد سهامه في أخلاق الرجل وعرضه فيمزقه تمزيقا في إقذاع شديد ،ويخرج ذلك الرجل موطنا للجهل والبخل والجبن والفرار عن انقاد الأحبة من وهده الموت في المعارك [4].

فقال " حسان بن ثابت " يهجو "عمرو بن هصيص" ، "وعمر بن العاص بن وائل" يوم وقعه بدر وهزيمة المشركين:

والله ما في قريش كلها نفر أكثر شيـــخـــا جـــبانا فاحشا عمرا

أدب أصلع سفيرا له دأب كالقرد يعجم وسط المجـالس الحمرا

هذر مشائيم محروم تويهم إذا تـروح مـــنهـــم زود القـــمـــرا

ما بال أمك زاغت عند ذبي شرف إلى جـــذيـمة لمـــا عـــفـــت الأثرا (4)

---

[1] – حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ : الأدب العربي ،الأدب القديم ،دار الجيل ،بيروت – لبنان ، ص 389 .

[2] – عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه ومفاهيمه النقدية .

[3] – زكريا عبد الرحمان صيام : دراسة في الأدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص39 .

[4] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 13 – 14 .

فحسان في هجائه هذا يتكلم بضميرا المفرد فيطعن على نسب الرجل وبصفه بأنه خادم هزيل ،وفي شرفه ،وفي أخلاقه فيصفه بالجبن وبالكلام الفاحش ،وبالهذيان فيخلط بين الحق والباطل ،ويشبه بالقرد ،ثم يطعن في أمه وأنها زائغة عن الحق وضالة عنه .

يقول حسان في هجاء أبي سفيان والدفاع عن النبي –صلى الله عليه وسلم- :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف تحب هواء

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في داك الجـــزاء

أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء

هجوت مباركا مرا حنيفا أمين الله شيمته الوفـاء [1]

فحسان يصف "أبيسفيان" بأنه جبان من خلال قوله: مجوف تحب هواء فكلها تعني الجبن تقريبا أي أنها بمعنى واحد ،ثم يخاطبه ويقول له أنك ضللت عن طريق الحق فهجوت محمدا – صلى الله عليه وسلم – ،وانتصر الحق بدفاعي عنه ،لكن حسابي وحسابك عند الله – سبحانه وتعالى- يجزي الخير بالخير والشر بالشر .

وقد بدأ "حسان بن ثابت" البيت الرابع باستفهام يوبخ فيه " أبا سفيان " وينكر هجاءه للنبي – صلى الله عليه وسلم – ثم يدعو" لأبي سفيان" أن يهديه الله إلى طريق الصواب ويذهب نفسه الشريرة ،ويخبره بأن النبي مبارك وبركته جاءته من الله – عزوجل- فلا يميل ولا يحيل عن الحق أبدا .

وبهذا أصبح الهجاء في عصر صدر الإسلام شيئا ضروريا لجأ إليه المسلمون للدفاع عن النفس والدين ، ولكن الملاحظ على هذا الغرض في هذه الفترة أنه كان أرقى لغة من الهجاء الجاهلي لخلوه من السب والشتم والبذاءة ،فجاء أسلوبه مهذبا لا يقدح كثيرا في الأحساب والأنساب ،كما يترك الباب مفتوحا للمهجرين لعلهم يهتدون وينعمون بنعمة بالإسلام [2].

وبذلك كان خادما للمفاهيم التي جاء بها الدين الإسلامي ،و استطاع أن يتماش ويتفاعل مع ذلك العصر .

---

[1]– حسان بن ثابت : الديوان ، ص20.

[2]– زبير دراقي: مستقسي في الأدب الإسلامي، ص 32 .

أما بالنسبة للمدح فقد أقر الرسول – صلى الله عليه وسلم- المدح الصادق الذي لا يرتبط بمصلحة دنيوية ،ولا كسب عاجل،فهو بذلك قد ذمَ أنواعا من المدح القائم على النفاق والكذب والمبالغة وتزوير الحقائق ،ومدح الرجل بما ليس فيه ،وما لا يعتقد ه حقيقة فيه تحقيقا لفائدة أو مكسب ،فهو بحذر من مدح الفاسق ،ووصف المنافق بالسيد ومن المدح بقصد التكسب .

فالرسول – صلى الله عليه وسلم - يوجهنا إلى وضع ضوابط للمديح وقواعد وأصول لابد من الإلتزام بها .مثل:البعد عن الإسراف في القول والمبالغة في المدح وعدم الصدق فيه .ويجب أن يكون المدح بما في الممدوح من صفات، وهذا حتى ل ايكون المدح سبب في انحراف الممدوح والمادح [1].

وعن المدح يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم - أن فيه: « ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح .فأما التي في المادح . فالأولى أنه قد يفرط في المدح حتى ينتهي إلى الكذب.وثانيها أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لايكون كذلك،وأنه قد لا يكون مستعدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا.وثالثتها أنه قد يقول ما لا تحققه فيكون كاذبا مزكيا من لم يزكه الله تعالى وهدا هلاك .و رابعها أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق ،وذلك غير جائز ،لأن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق وأما الممدوح فيضره بالمدح من وجهين،إحداهما أنه يحدث فيه كبرا وعجبا وهما مهلكان .والثاني أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر و رضي عن نفسه ،وقل تشمره لأمر آخرته» [2] .

وعلى هذا فقد نحا الممدوح عند " حسان بن ثابت " منحى جديد ا متغير ا يتوافق مع التعاليم الجديدة للدين الإسلامي « فقد عزف "حسان" عن المدح التكسبي بصدوفه عن التقلب على معاني الجود والعطاء والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم - »[3]

---

[1]– عباس محجوب : الأدب الإسلامي ، قضاياه المفاهمية والنقدية ، ص 108 .

[2] - أدونيس على أحمد سعيد : الثابت والمتحول بحث على الإبداع عند العرب، الطبعة الرابعة ،ج1 الأصول ، ،دار العودة بيروت ، ص 58 .

[3] - حسان بن ثابت : الديوان ،ص 13

فاقتصر مدح " حسان بن ثابت " على النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة الكرام ، لأنهم حقا أحق بالمدح من سواهم ،لأنهم كانوا قدوة حسنة في الأخلاق والمعاملات مع الناس ،فيقول "حسان بن ثابت" في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – :

والله ربي لانفارق ماجدا عف الخليفة ماجد الأمجاد

مكرما يدعو إلى رب العلا بذل النصيحة رافع الأعماد

مثل الهلال مباركا ذا رحمة سمح الخليقة طيب الأعواد

إن تتركوه فإن ربي قادر أمسى يعود بفضله العواد [1]

" فحسان " يشد بأخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – وخلقه ،وهو صادق في مدحه ،كيف لا وهو يمدح خير البرية ،يمدح من اصطفاه الله – سبحانه وتعالى– على العالمين ، وفلما كان مبدأ الإسلام في غير النبي– صلى الله عليه وسلم – من حيث الاهتداء يهدبه ونشر الحق على يديه .

[1] -حسان بن ثابت : الديوان ،ص 56 .

اختلفت نظرة الإنسان المسلم للحياة والكون بعد مجيء الإسلام ،الذي حمل في رسالته أمور جديدة ، لم يعهدها الجاهلي قط ،حيث دعا إلى أن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة ،فهو لم يكن يعلم أن هناك حسابا ينتظره بعد موته فجاء الإسلام وأخبرنا عنها ، ففيها يحاسب كل إنسان على ما أتى من خير أو شر ،فمن أمن وعمل صالحا في دنياه فله الجنة ،ومن كفر وعصى فله جهنم حتما [1].

وبهذا اتضحت رؤية الإنسان لمصيره المتمثل في الجنة أو النار ،لذلك أخد الشعراء يستخدمون ها ذين الكلمتين لأنهما تحملان مدلولات جديدة تتعلق بالإيمان والكفر ، و في هذا نجد رثاء " حسان بن ثابت "لحمزة بن عبد الله المطلب " عندما جاءت ابنته تسأل عن قبره ،حيث يقول أن الله قد دعاه إلى ، مثوى الصالحين ، وهذا ما نرجو من الله أن يكون مصيره في الآخرة الجنة فينشد :

فإن أباك الخير حمزة فاعلمي وزير رسول الله خير وزير

دعا إله الخلق ذو العرش دعوة إلى الجنة يرضى بها وسرور

فذلك ما كنا نرجى ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير [2]

ودعا حسان الله تعالى أن يجمعه بالنبي والفردوس في مرثيته لدى يقول فيها :

يا رب اجمعنا معا ونبينـــــا في الجنة تثني عيون الحســـــد

في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد [3]

كما تطرق حسان لمصير هؤلاء الذين خرجوا عن تعاليم الدين ،و لم يلتزموا بأوامره ،فمعادهم سيبكون شر معاد وأن جزاءهم نار جهنم ،وهذا ما جاء في هجاء " حسان بن ثابت " "بني عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم "

---

[1] – زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ص 306.

[2] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص112 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 65-66 .

يقول :

فإن تصلح فإنك عابدي وصلح العابدي إلى فســـاد

مبين الغي لا يعيا عليه ويعيا بعد عن سبل الرشـــاد

فقبح عابد وبنو أبيـــه فإن معادهم شر المعـــــــاد [1]

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 89 . 90 .

2- الأخلاق :

2-1 الدعوة إلى الخير والحق :

الدعوة إلى الخير والحق من الميزات الأساسية للدين الإسلامي ،والدي يعتبر المثل الأعلى في العدالة ، هذه العدالة التي تتعلق بتشريعات إلهية قامت باستئصال عادات جاهلية ثابتة على نفوس وعقول العرب مثل ،الربا ،الثأر ،قتل النفس وأد النبات وغيرها من تقاليد الجاهلية ،وغرست مكانها قيما إسلامية صحيحة تهدي إلى الحق والخير وتبين سبيل الرشاد من أجل الحفاظ على سلامة المجتمع الإسلامي.[1]

وقد عبر "حسان بن ثابت" عن هذه القيم التي جاء بها الدين الإسلامي في أشعاره والحث عليها والدعوة إليها.

وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء[2]

وفي قول آخر :

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود [3]

وفي رثاء النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي تجاوز فيه "حسان بن ثابت " أساه الذاتي إلى الأسى الجماعي شبه " حسان" الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالخير أي أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو الخير لأنه – صلى الله عليه وسلم – جسده على أكمل وجه وأن هذا الخير سيزول بموته – صلى الله عليه وسلم – يقول :

نب المساكين أن الخير فارقهم مع النبي تولى عنهم سحـــــرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا [4]

---

(1) - زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 234 .

(2) – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 20 .

(3) – المصدر نفسه : ص55 .

(4) – المصدر نفسه ، ص 102 .

فالدعوة إلى الخير والحق والتمسك بهما على الحياة الدنيا من القضايا الجوهرية التي تمس الإنسانية جمعا لتحقيق العدل ،جاء بها الدين الإسلامي وعبر عنها " حسان" في شعره ،هذه القيم الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان ،فالحداثة عند"حسان"تمثلت في أن شعره يعالج القضايا الإنسانية الثابتة فنحس به شعرا حديثا .

2-2- نماذج أخلاقية :

كان للدين الجديد دور هام في تمكين الشعراء من « تطويع فريضتهم وتهذيب ألسنتهم ليتمكنوا من أن يجعلوا من الشعر أداة فعالة في نشر الدعوة » [1] بالإضافة إلى« جمع الناس على كلمة التوحيد وبث مكارم الأخلاق بين العرب» [2] ، لذا نجد الشعر قد تناول في مضمونه الكثير من القضايا الأخلاقية للأمة المسلمة، فدعا إلى ضرورة تحلي المسلم بالأخلاق النبيلة الفاضلة لأنها تساعد على تطوير الحياة والرقي بها أيضا . وقد استمد الشعر هذه الأخلاق من الكتاب والسنة ومجموعة القيم الإنسانية التي كانت موجودة من قبل ،وتأصيلها في الناس من صدق وأمانة وعدل وإحسان وصبر وكرم وتواضع وخشوع ،ونبذ كل خلق ذميم يسيء للمسلم ويحط من قيمته ،ويترل به إلى أدنى المراتب في الحياة ،كالكذب والرياء والحسد والظلم والبخل والإسراف والغش والكبر وغيرها من الأخلاق المذمومة .

وقد كان للشعر دور هام في الدعوة للالتزام بالأخلاق الفاضلة ،وقيم السلوك الإيماني .

فهذا حسان بن ثابت – رضي الله عنه – يصر على ضرورة التزود بالأخلاق ويحث على الخلق الصالح فيقول :

فمن يك منهم ذا خلاق فإنه سيمنعه من ظلمه ما توكدا [3]

---

[1]– زكريا عبد الرحمن صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 315 .

[2]– المرجع نفسه. ص 313.

[3] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 95.

وقال أيضا :

فما المال والأخلاق الإ معارة فما استطعت من معروفها فتزود [1] .

كما يقر حسان بأنه يحب الأخلاق الجميلة النيلة في الفرد المؤمن وينبذ الصفات الذميمة .

لك الخير غضي اللؤم عني فإنني أحب من الأخلاق ما كان أجمل [2] .

وقد عبر حسان عن القيم الأخلاقية في صدر الإسلام في دفاعه عن الإسلام ومناقضته لشعر الزبرقان بن بدر

إن الذوائب من فهر و إخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبـــــع

يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البـــدع

إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبـــــع

أعفه ذكرت في الوحي عفتهم لا يطبعون ولا يرديهم الطمـــــع

كم من صديق لهم نالوا كرامته ومن عدو عليهم جاهد جـــدعوا

أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم فما و نا نصرهم عنه وما نـــــزعوا

نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أظفارها خـــشعوا

لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خوف ولا جزع

كأنهم في الوغى والموت مكتنع أسد ببيشة في أرساغها فـــــدع

أكرم بقوم رسول الله شيعتهـــــم إذا تفرقت الأهواء والشيـــــع

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ،ص 80.

[2] – المصدر نفسه، ص 205 .

أهدى لهم مدحي قلب يؤازره فيما يحب لسان حائك صنـــــــع

فإنهم أفضل الأحياء كلهـــم إن جد بالناس جد القول أو شمعوا [1]

فحسان في هذه القصيدة يعبر عن المسلمين جميعا ،حيث ملأ الإيمان قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا وأن المهاجرين بالتعاون مع الأنصار أصبحوا كرجل واحد فوضعوا للناس طريقا مستقيما ،إنها سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي يرضى بها ويتبعها من امتلأ قلبه بتقوى الله – عز و جل – ،وكانت سريرته تقوى الإله كذلك.

و ه ؤلاء القوم صادقون في تعاملهم ،ولا ينافقون الناس ، فإذا حاربوا أعدوا لعدوهم كل قوتهم وذلك لإلحاق الهزيمة به ،وإذا تعاملوا مع إخوانهم في الدين كانوا رحماء نافعين لهم .

ولا تحسب أن هذه الطبائع مكتسبة بل هي سجية في نفوسهم وأن شر الطبائع ما كان منها مبتدعا ، فحسان يصفهم بالعفة والطهر ،والقناعة، وأنهم غير طماعين في نعيم الدنيا لأنه زائل .

فكم من صديق لهم حافظوا على كرامته ودفعوا عنها ،وكم من عدو هزموه وأطاحوا به ونالوا منه،وأطاعوا نبي الهدى والخير ونصروه ،ولم يتخلوا عنه .

ثم يتكلم "حسان" بلسان الجماعة فيقول: نغلوا بفضل قوتنا وشجاعتنا عن خطر الحرب إذا وصلت إلينا مخالبها وأظفارها .فهم لا يتفاخرون إذا نالوا من عدوهم ،وانتصروا عليه في المعركة ،كما أنهم لا ييأسون ولا يتملكهم الجزع إدا ما نال منهم العدو وتغلب عليهم .

ثم يشبههم وهم في ساحة الحرب والموت يحاصرهم من كل جانب بأسد جيشه في قوته ،وهذا لشدة قوة العدو وما يملكه من أسلحة وفرسان ،أما قوتهم فتكمن في الطاقة الروحية أو القوة الروحية التي يمدهم بها النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – والذين يجتمعون من حوله حين تتفرق الأهواء .

وفي الأخير يقول "حسان" : إن هذا المدح كان صادقا أهداه إليهم قلب محب ،ولسان متمرس في قول الشعر،لا تكلف ولا زيف فيه ،بل يصدر شعره عن عاطفة صادقة مليئة بالإيمان ،وقلب خاشع لله–سبحانه وتعالى –.

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 152-153.

وقد بدا "الصدق" عند حسان في مدحه للرسول – صلى الله عليه وسلم – وخلفائه ،وكبار الصحابة ،والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسنا .وقد اختلف عما كان عليه في العصر الجاهلي ،وذلك بعزوفه على معاني الجود والعطاء بغرض التكسب واقتصر في عصر صدر الإسلام على وصف الخصال الحميدة في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – ورسالته ،فهو أحق بالمدح من غيره لأنه رسول الله ولأنه كان قدوة حسنة في الأخلاق والمعاملات وقد قال – صلى الله عليه وسلم – في حديث له : «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ،وكان "حسان بن ثابت" السباق إلى مدحه في قوله.:

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء

خلق مبرء من كل عيب كأنك خلقت كما تشـــاء [1]

فهذا مدح صادق لشخص النبي لأن النبي حقيقة يتميز عن الخلق جميعا بحسن الخلق و الخلق .

وفي مدحه للصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – من أمثال "أبي بكر الصديق " حين آمن بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وكذبه الناس ،فطلب النبي – صلى الله عليه وسلم – من "حسان بن ثابت" أن يقول له ما قاله عنه وعن " أبي بكر" فأنشد حسان قائلا :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فأذكر أخاك أب بكر بما فعلا

التالي الثاني المحمود شميتـــــه وأول الناس طرا صدق الرسلا

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا

من البرية لم يعدل به رجـــــلا وكان حب رسول الله قد علموا

خير البرية أتقاها وأرأفـــه بعد النبي وأوفاها بما حملا [2]

فقال – صلى الله عليه وسلم – صدقت يا حسان دعوا لي صاحبي قالها ثلاثا [3] .

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 21 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 179-180 .

[3] – المصدر نفسه ،ص 180 .

والصبر " كذلك خلق نبي دعا إليه الدين الح نيف ،وحثنا على التمسك به على الشدائد ،وجعل جزاءه الجنة وأن الموت حق ويجب الصبر على البلاء ،ونجد الصبر عند "حسان بن ثابت " في مر ثياته ،إذ يقول في رثاء شهداء "مؤته".

بلاء وفقدان الحبيب بلية وكم من كريم يبتلى ثم يصبر [1]

فحسان هنا يعزي نفسه بأن كثيرا من الكرام ،يبتلون فيقابلون ابتلائهم بالصبر ،فما عليه هو إذن إلا أن يصبر .

وقال حسان يرثي "خبيبا":

صبرا خبيب فإن الموت مكرمة إلى جنان نعيم يرجع النفس[2]

و"الكرم" صفة محمودة وخلق كريم حثنا عليه الإسلام، وأشاد به وحرص على ترسيخه عند المسلمين وفي هذا يقول " حسان":

أولئك قومي فإن تسألي كرام إذا الضيف يوما ألم

يكبون فيها المسن السنم عظام القدور لأيسارهم [3]

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 108.

[2] – المصدر نفسه ،ص 142.

[3] – المصدر نفسه ، ص 220.

3- الهوية والانتماء :

الهوية هي «السمات والسلوكيات والمقومات التي تميز المسلمين عن غيرهم ، و تكون ذاتهم ،وترتبط ارتباطا واضحا بالوطنية ،والقومية المنبثقة عن الإسلام» . [1]

وهي أيضا «تحيل على الميزة والعلامة المنغرسة في الذات والدالة على الذات المميزة عن الأغيار» (1) .

أما تعريفها في الإطار الجمعي فهي « تصير دالة على السمة العامة لثقافة من الثقافات » (1) .

فالهوية إذن تمنح الاطمئنان والانتماء والانضواء تحت لواء معين .

و الانتماء يعد هو« التعبير الإجرائي لفكرة الهوية » (1) .

اكتسبت الهوية أهميتها من الخصائص العظيمة التي تميزت بها ،كما كان لسماتها الجليلة التي ظهرت مند فجر الإسلام أثر عظيم في تقبل الناس بها وإيمانهم بالمقاصد التي احتوتها وبهذا فقد وجد العرب في الهوية الجديدة التي أتى بها النبي وسطع نورها بمكة ملاذا للتخلص من الوثنية التي جعلتهم يتخبطون في الظلمات وبلسما من العصبية التي جعلت صدورهم ضيقة ومثلما كانت ه ذه الخصائص سببفي دخول الناس في دين الله وجلبهم إلى دائرة الإيمان كانت أيضا سبب عداوة الكفار للرسول – صلى الله عليه وسلم – ،إضافة إلى كل هذا فقد وجدت عدة أسباب ميزت خصائص الهوية الإسلامية وأمدتها بالقوة ليعتصم بها المسلمون ،ويمكن حصر خصائصها في أمرين :

ربانية ،الهوية الإسلامية وحفظها من التحريف[2] .

وقد تفردت الهوية الإسلامية بخصائص منها :

أ- الرسوخ :

وهو من أعظم صفات الهوية الإسلامية وأهميته تكمن في كثرة الشواهد التي تثبته فأركان الإسلام ظلت ثابتة منذ بزوغ فجر الإسلام ،وكذا مقاصد الدين العظمى التي جاءت بهدف حفظ الدين ،النفس،المال ،العرض ...والتي أسس

---

[1] - عبد الرحمان العطيري : ملاحظات حول الهوية والانتماء .http://www.ejtemay.com/show thread.Php?t =4062

[2]- محمد البشير : حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة ...رؤية تأصيلية الكتاب والسنة .

http://faculty.ksu. edu. Salaljar/research. Libraryco3.doc.

.

لها الدين و لم يطلها أي تغيير على الرغم من تغير العصور،وقد كانت هذه الصفة محور الصراع بين المسلمين والكفار ،فقد كان الكفار يصرون على وصف القرآن بعدم الثبات والاضطراب وتجريد الدين من صفة الرسوخ لأنهم يدركون أن هذه الصفة ترغب الناس في الدخول في الإسلام ،[1]وبالرغم من هذا فقد بقيت العقيدة ثابتة وراسخة وهذا ما أثبته "حسان بن ثابت" في قوله :

فإن أبي ووالده و عرضي لعرض محمد منكم وقاء [2].

فافتداء حسان للرسول بعرضه وأبيه وأمه دليل قاطع على الإيمان بالله ورسوخ العقيدة وثباتها في نفسه ،فهو يفديه بأعز ما يملك وهذا دليل على رسوخ عقيدته .

ب– السلام :

إن الحياة لا تستقيم دون سلام ،فالسلام نعمة من نعم الله ،وهي اسم من أسماء الله ،والإنسان مند أن وجد على هذه الأرض وهو يبحث عن السلام الذي يعيد للحياة توازنها ،ويجعلها مطابقة للأقدار الإلهية ،فغياب السلام سيؤدي حتما إلي تغلب القوي على الضعيف ،وبهذا الحدث خلل في نظام الكون ،ومن أجل أن لا يحدث هذا كان السلام من أهم مقاصد النبوة ،والسلام من منظور النبوة يعني أن تكون الغلبة لله ورسوله والمؤمنين الذين يعبدون الله تعالى بالحكم بين الناس ،ولن تجد البشرية ما يوقف الحروب التي أنهكت الإنسان سوى الدين الإسلامي [3] .

وقد كان " حسان بن ثابت " من دعاة السلم والميل إليه ويتضح لنا هذا في قوله :

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا الجلاد يوم يعز الله فيه من يشـــــــــاء [4]

---

[1] – محمد البشير ،حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة.ص 10.

[2] – حسان بن ثابت :الديوان ، ص 21 .

[3] – محمد البشير ،حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة. ص12 .

[4] – حسان بن ثابت :الديوان ص 19.

وهنا دعا" حسان بن ثابت " المشركين إلى التنحي عن طريق المسلمين لدخول مكة والاعتمار بها دون حرب بين الطرفين وبهذا يتحقق الفتح المبين دون سفك دماء فهو يحبذ دخولهم إليها عن طريق السلم فتزول العداوة والبغضاء ويحل محلها السلام .

ج – الاعتدال:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن وساوى فيه بين الذكر والأنثى ،وغرس في النفس البشرية حاجات مادية ومعنوية فعمل على ضبط الغرائز وفق فطرة الله ، وتغذية النفس غداء ماديا وروحيا ،ووفق بين النفس البشرية فأقبلت النفس على هذا الدين لأنه يبني الحياة على الإيمان العادل للبشر جميعا ،فالإسلام جاء ليوازن بين جميع الجوانب الإنسانية [1].

فالإسلام منهج متفرد بين جوانب الهوية ،فقد استوعب الدين والتاريخ والمستقبل والثقافة ،ونسج هذا الشتات وجعله من محددات الهوية .

1– الدين :

اعتبر الإسلام الدين المكون الأول من مكونات الهوية فهو شعار الهوية الإسلامية ،فقد أعطى الدين للأمة الإسلامية هوية جديدة ميزتها عن الأمم الأخرى ،فأصبحت لها هوية ثابتة هي الهوية الإسلامية لأن الدين عند الله الإسلام لقوله تعالى : «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» [أ]

وقد جسد "حسان بن ثابت " الهوية الإسلامية في شعره من خلال دفاعه عن الدين الجديد مبرزا انتماءه له في فترة الصراع الأولى في قصيدته التي قالها عن فتح مكة :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقـــع موعـدها كداء

يبارين الأسنة مصـــعدات على أكتافهـــا الأسل الظماء

---

[1] – محمد البشير :حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة ،ص 11-12.

[أ] – سورة أل عمران الآية 85.

وإلا فاصـــبروا لجلاد يوم يعز الله فـديه من يشـــــــاء[1]

يرمز "حسان بن ثابت " في هذه الأبيات بضمير الجمع (نا) إلى الهوية الجديدة أي الهوية الإسلامية التي ينتمي إليها ويدافع عنها ويرمز بضمائر المخاطب إلى الهوية المقابلة وهي هوية المشركين .

وفي قصيدة أخرى يؤكد "حسان "على ضرورة التمسك بالعقيدة الإسلامية ،لأنها تدعو إلى توحيد الخالق سبحانه ،وهذا لا يأتى إلا بالتشبث بحبل الله ،لأنه حبل متين يقوي وحدة المسلمين ولا يفرقهم أبدا لقوله تعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ،و أذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ،فأصبحتم بنعمته إخوانا »[أ].

فيقول "حسان" في هذا :

مستعصمين بحبل غير منجذم مستحكم من حبال الله ممدود [2]

2- الوطن :

إن الوطنية عنصر من العناصر المشتركة بين الجماعات البشرية ،وهي تعني الشعور الفردي والجماعي بوحدة المصير في السلم والحرب ،والإنسان يحن إلى الوطن الذي ينتمي إليه وترعرع في أرضه وتنازعه نفسه إلى صوره و أخيلته ،وهذا ما تجسد عند الأدباء المحدثين الذين عاشوا في المهجر فكثر تغنيهم بأوطانهم واشتد حنينهم إليه فالوطن جزء لا يمكن أن ينسلخ عن الذات لأنه مكون لشخصيتها وهويتها التي لا تتغير ،فالوطنية هي إحساس معنوي يربط الأفراد بعضهم ببعض .

وبمجيء الدين الإسلامي الذي عزز ودعم رابط الوطنية بين المسلمين ،فمكة تعتبر وطن الإسلام الأول ،لأنها ضمت أول بيت وضع للناس ،وهي البلد الذي ولد بها- النبي صلى الله عليه وسلم - وهي الموطن الذي نزل فيه الوحي وهي قبلة المسلمين[3].

---

[1] - حسان بن ثابت : الديوان، ص19.

[أ] - سورة آل عمران، الآية 103.

[2] - حسان بن ثابت :الديوان ،ص 55.

[3] - محمد البشير : حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة ،ص16.

وقد جسد" حسان بن ثابت " في شعره الوطنية ويظهر هذا في تغنيه "بيثرب " التي اعتبرت بلد الإسلام والحاضنة للدعوة المحمدية وأنه والمسلمون مستعدون للدفاع عنها والتمسك بها مهما حدث ،وذلك من خلال قوله :

ويثرب تعلم أنا بها إذا البئس الأمر مـــيزانها

ويثرب تعلم أنا بها إذا قحط القـــطر نو آنها

ويثرب تعلم أنا بها إذا خافت الأوس جيرانها [1]

فرغم أن "حسان بن ثابت " ليس من "يثرب" إلا أن انتماءه للدين الإسلامي جعله يحمل الهوية الإسلامية ويدافع عن "يثرب "مدينة الإسلام .

3- اللغة :

للغة دور حضاري هام ،فهي وسيلة التواصل بين الأفراد والشعوب ، وبفضلها ينتقل الإبداع من جيل إلى جيل ،و الإنسان لايستطيع التعبير عن أفكاره ونقل إبداعه إلا بها ،وهي التي تعتمد عليها في كل مناحي الحياة ،وقد ازدادت قيمة اللغة بالرسالات السماوية وبتزولها على الأنبياء عليهم السلام فما أرسل الله نبيا إلا بلسان قومه ليستقيم تحدي العرب بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة منه[2] .

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على نبيه – صلى الله عليه وسلم – بلغة قومه ،فأرسل لهم رسولا منهم يعرف لغتهم و يفهم كلامهم ،فكان أن نزل القرآن باللغة العربية وهي لغة قريش ،أكثر القبائل العربية فصاحة على الرغم من كل هذا فلغة القرآن وبجمال أساليبها وعمق أفكارها قد أذهلت العرب وجعلتهم عاجزين أمامها ومن ثمة أعجبوا وتأثروا بها تأثرا عميقا ،وقد نال هذا التأثر من الشعراء فكانوا السباقين إلى النيل منها ،ومن هؤلاء الشعراء نجد " حسان بن ثابت " الذي كان للغة القرآن تأثير عظيم عليه ،فصار يتكلم بلغة القرآن ويتحدث بلسان عربي مبين فاكتسب لغته بعدا دينيا ،وبهذا استطاع أن يكيف لغته وفق هذه المستجدات الحاصلة فأصبحت هويته إسلامية ،فاللغة مكون هام من مكونات الهوية .

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 248.

[2] – محمد البشير : حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة ، ص 16 .

وبهذا فقد استطاع "حسان بن ثابت" أن يوفق بين معالم الهوية الإسلامية في شعره، فهي ذات جوانب تتصل بالدين ،اللغة ،الوطن التي أثبتها الإسلام وعبر عنها ،وقد كان "حسان "متشبثا بها ،وبدت واضحة في أشعاره ،فعلى الرغم من أن " حسان بن ثابت " عاش في صدر الإسلام الذي تفصلنا عنه قرون طويلة ، إلا أن ما نجده في شعره عن الهوية الإسلامية يتوافق مع مايسعى إليه الشعراء المحدثون في حرصهم على التمسك بالهوية ،لأنها تمنح الإنسان الاطمئنان والارتياح وهذا ما منحه الدين الإسلامي للفرد المسلم .

فالحداثة تكمن في المحافظة على الهوية الإسلامية التي أتى بها الإسلام على مر العصور لأنه دين ثابت وصالح لكل مكان وزمان .

4- الصدق الفني :

الصدق الفني في الشعر : هو قدرة الأديب على إعطاء المتلقي إحساسا صادقا في كافة أعماله الأدبية .[1]

ومن منظور إسلامي : فهو أن يصدر الأديب نتاجا أدبيا يتفق مع أخلاق الإسلام التي تدعو إلى الصدق على التعبير ، فلا يصدر عن الأديب نتاج أدبي متفق مع أخلاق الإسلام وتصوراته ونظراته الشاملة للكون والحياة والإنسان . (1)

وقد تجلى بوضوح الصدق الفني على شعر " حسان " هذا الذي يجعل الصدق أساسا من أسس المفاضلة في الشعر حيث يرى أن أحسن بيت في الشعر هذا البيت الصادق وعلى هذا يقول :

إنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيسا أو حمقا

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا [2]

وهذا اعتراف صريح من "حسان" على أن الصدق الفني ضرورة من ضرورات الشعر، وأن الشعر الجميل هو الشعر الصادق ،الذي يترك في نفس المتلقي إحساسا صادقا فعلا.

وقد نظر النقد العربي القديم إلى قضية الصدق والكذب على الشعر من خلال مناقشة مقولتي : " خير الشعر أصدقه "و"خير الشعر أكذبه "، فنظرتهم للصدق الفني كانت أخلاقية قيمية ثم تغيرت هذه النظرة فيما بعد ،وأصبحت ترجح مقولة «خير الشعر أصدقه » [3] .

« يراد بخير الشعر أصدقه الشعر الذي يدل على المعنى الذي يقبله العقل والأدب الذي يجب به الفضل والموعظة التي تروض جماح الهوى ،وتبعث على التقوى ،وتبين موضع الحسن والقبح في الأفعال وتفصل بين المحمود

---

[1] – الندوة العالمية للشباب الإسلامي http://WWW.SAAID.NET/FERA//MTHAHB/100Mtm

[2] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 174 .

[3] – خليل دياب أبو جهجه : الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظيم والنقد ، دار الفكر اللبناني بيروت ، ص174 .

والمذموم من الخصال ،وعلى الشاعر أن ينحى الصدق في مدح الرجال ... ونحن نميل إلى نظرة الصدق وتقديمه وتفخيم أمره وتعظيمه فالصدق للعمل أنفع لصاحبه أشفع».[1]

" عبد القاهر الجرجاني " في هذا القول يشرح لنا معنى مقولة « خير الشعر أصدقه » وبين ماهو الشعر الصادق وفي الأخير يخلص إلى أنه يميل إلى نصرة الصدق وتقديمه ،فالصدق للعمل أنفع ولصاحبه أشفع حسب رأيه .

من جهة أخرى نجد " الجاحظ" يدعو بوضوح إلى الالتزام بالصدق في الشعر من خلال قوله : « وأنفع المدائح للمادح وأجدها على الممدوح وأبقاها أثرا وأحسنها ذكرا أن يكون المديح صادقا لحال الممدوح وموافقا وبه لائقا »[2].

وقد بدا ما ذكره الناقدان "عبد القاهر الجرجاني " و "الجاحظ " في شعر حسان بن ثابت" وخاصة في مدحه للنبي ورثائه له كذلك, وبخاصة في مدحه له بقوله :

وأجمل منك لمك تر قط عيني وأحسن منك لم تلد النساء

خلقت مبرء من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

فعلا هدا مدح صادق لان النبي صلي الله عليه وسلم يجمع بين صفات الحسن في الخلق والخلق فأن مدح" حسان " موافق لشخصه الكريم – صلى الله عليه وسلم – ولائق به .

وفي النقد الحديث كذلك نادى أصحابه بالصدق الفني في العمل الأدبي من خلال مفهوم الشعر عند "جماعة الديوان "، والتي تعتبر أول من نادى بالصدق الفني في العصر الحديث .حيث يعرفه" العقاد" قائلا : "إنه التعبير الجميل عن الشعور الصادق وعما يختلج نفس الشاعر من إحساسات ومشاعر خاصة ,وهو شعور بشؤون الحياة والناس والطبيعة ".

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق وتعليق ، سعيد محمد اللحام دار الفكر العربي بيروت،ص 153.

[2] – عبد الله مهران : مدخل إلي النقد الأدبي الإسلامي وأهم قضاياه مجلة رؤى الأدبية ،ع1، السنة الأولي جمادى الأول 1418هـ ، الصادرة عن نادي حائل الأدبي سبتمبر 1997 . http ://WWW SAAID .NET /FERA // MTHAHB /100Mtm

تمهيد :

من الطبيعي جدا أن يرفق التغيير الذي طال مضمون الشعر في عصر صدر الإسلام ، تغيير موازي في الشكل بما يلائم عمق التطور الحضاري واتساعه.

1- مطلع (مقدمة) القصيدة:

التزم شعراء الجاهلية نموذجا فنيا خاصا في بناء قصائدهم . فقد كان الشاعر يستهل قصيدته بذكر الديار والدمن والآثار ، فيبكي ويشكي ، ويخاطب الربع ليجعل ذلك سببا في ذكر أهلها الظاعنين عنها ، ثم يصل إلى النسيب ، فيشكي ألم الفراق ، وفرط الصبابة ، و الشوق ، ليميل نحو القلوب ، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه ، عقب بإيجاب الحقوق إلى أن يصل إلى غرضه الأصلي من القصيدة.[1]

" وقد تحرر معظم الشعراء في صدر الإسلام من بعض تقاليد القصيدة الجاهلية ، كمخاطبة الاثنين ، وتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة ، فساعدهم ذلك على الابتعاد في الحديث عن وصف الناقة وتجربة الرحلة ومعاناة الشاعر في بيئة صحراوية قاحلة يخطف في حواشيها السراب ، ولعل ابتعادهم عن هده التقاليد التي عرفتها القصيدة الجاهلية كان نتيجة اطمئنانهم إلى فلسفة الإسلام باعتباره مشروعا حضاريا أسهم في حل أزمة الصراع الوجودي الذي كان يعانيه العرب في جاهليتهم ، فتحرروا بذلك من مشكلة التكرار والنمطية التي سادت فترة الجاهلية وراحوا يعبرون عن تجارب جديدة وقيم جديدة اقتضتها طبيعة الحياة الإسلامية "[2] .

و قد كان " حسان" من ضمن الشعراء الدين تحرروا في قصائدهم في صدر الاسلام من بعض تقاليد القصيدة الجاهلية ، حيث أستطاع أن يتفاعل مع هذا الحدث الجديد ، و يستوعب تعاليم الاسلام باعتباره مشروعا حضاريا أسهم في حل أزمة الصراع الوجودي الذي كان يعانيه الشاعر الجاهلي.

---

[1] - إبن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم): الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ص 74 – 76.

[2] - نور الدين السيد: الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية– بن عكنون– الجزائر ص 128.

و بذلك لم تعد القصيدة عنده ملتزمة بالنموذج الفني الجاهلي فأصبحت مقدمات "حسان بن ثابت" مقتضبة و قصيرة ينتقل منها بسرعة إلى الموضوع ، كما في قصيدته التي أجاب أو رد فيها على "عبد الله بن الزعبري" في يوم "أحد" يقول:

أشاقك من أم الوليد ربوع بلا قع ما من أهلهن جميـــــــع

عفا هن ضيفي الرياح و واكف من الدلو رجاف السحاب هموع

فلم يبق إلا موقد النار حوله رواكد أمثال الحمام كنـــــوع

فدع ذكر دار تبددت بين أهلها نوى لمتينات الحبال قطـــــوع

ثم يبدأ في موضوع القصيدة:

و قل إن يكن يوم بأحد يعده سفيه فان الحق سوف يشيـــــع[1]

بدأ "حسان" قصيدته بمقطع تقليدي يذكر فيه أم الوليد و ديارها ، ثم يعلل سبب خلو الديار من أهلها ، فلم يبق من هذه الديار إلا الحجارة ثم يعمد إلى التخلص من هذه المقدمة التي لم تتجاوز أربعة أبيات ، و ينبري للرد على"ابن الزبعري".

كما نجد "حسان" في قصائد أخرى ، استطاع التخلص نهائيا من المقدمة الطللية ، و هذا راجع إلى أن دواعي المقدمة الطللية قد اختفت، و بذلك فعليها هي أيضا أن تختفي في ظل هدا التحول الحضاري الجديد.

و في غياب المقدمة الطللية أصبحت القصيدة تعالج موضوعا واحدا ، وبذلك اكتسبت هذه الأخيرة "الوحدة الموضوعية".

كما نسميها نحن اليوم ، بمعنى أن الشاعر أصبح يتناول موضوعا واحدا.

و هذا ما نلحظه في قصيدة "حسان" التي رثى فيها النبي ﷺ التي بدأها مباشرة دون مقدمة طللية .وقد تناول فيها موضوعا واحدا و هو رثاء الرسول ﷺ ثم تتفرع عنها أفكار جزئية مترابطة.

---

[1] - حسان بن ثابت : الديوان. ص157.

يقول "حسان" في الفكرة الأولى و التي تبدأ من البيت الأول إلى السادس :

بطيبة رسم للرسول و معهد منير و قد تعفو الرسوم و تهمد

[.]

. عرفت بها رسم الرسول و عهده و قبرا به واراه في الترب ملحد [1]

يبدأها " حسان" بذكر موقع قبر الرسولﷺ بشكل عام و هو المدينة المنورة ، و من ثم يأخذ يحدد الموقع بدقة ، فيخبرنا بأنه وسط حجرات بداخل المسجد النبوي الشريف ، حيث كان يصعدﷺإلى المنبر ، ثم يصف لنا الأماكن التي كان يغمرهاﷺبنوره.

وفي الفكرة الثانية التي تبدأ من البيت"السابع"إلى البيت "العاشر"يقول :

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجفن تسعد

[.]

.وما بلغت من كل أمر عشيره ولكن نفسي بعض ما فيه تحمد [2]

"حسان"هنا يصف شعوره إزاء هذا الموقف ، وهو شعور رجل مؤمن بالله وبرسوله ، فقد ظل يبكي الرسول ﷺ ويدع نفسه تحصي آلاءه ، إلا أنها تبلدت لشدة الفجيعة بفقدهﷺ.

أما الفكرة الثالثة فتبدأ من البيت "الحادي عشر"الى البيت "الرابع عشر"

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أحمد

[.]

.تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه وقد غارت بذلك أسعد [3]

---

[1] – حسان بن ثابث: الديوان. ص 60-61 .

[2] – المصدر نفسه: ص61.

[3] – المصدر نفسه : ص 61-62 .

نلحظ في هذه الأبيات أن"حسان"يدرك أن قبر الرسول جماد لا يجوز مخاطبته ، لكنه يقر بأنه ليس كغيره من القبور ، فقد اكتسب طهرا وبركة وفضلا بضمه الرسول ﷺ، وكأنه باحتوائه إياه أصبح مصدرا للبركة ، ثم يصور لنا كيف دفنوه وكيف أن الأيدي تميل عليه الترب ، وكيف أن الأعين تميل عليه الدموع.

وفي الفكرة الرابعة التي تبدأ من البيت"الخامس عشر"إلى البيت"الثامن عشر".

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد

[.]

وهل عدلت يوما رزيتي هالك رزية يوم مات فيه محمد ؟ [1]

وهنا يشبه "حسان"الحلم والعلم والرحمة في النبي ﷺبأشياء محسوسة قد غابت بغيابه . فلا يجد "حسان"في هذا الجو إلا البكاء ،كيف لا وقد أخذت السماء و الأرض تجودان بالدموع عليه أيضا.

أما الفكرة الخامسة فتبدأ من البيت "التاسع عشر" إلى البيت "السادس والعشرون".

تقطع فيه مترل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد.

[.]

عطوف عليهم لا يثني جناحه إلى كنف يحنو عليهم ويمهد [2]

يبين لنا"حسان"في هذه الأبيات أن نزول الوحي قد انقطع عن الأرض بموت النبي ﷺ، وقد كان ﷺذا نور أخرج الناس من الظلمات إلى النور بفضل رب العالمين ، وهداهم إلى الحق بكل صدق ، وهو ﷺ عفو عن الزلات يقبل عذرهم ، وهو دليلهم إلى الطريق المستقيم. وقد كان على تربية قويمة من رب العالمين ، وفي هذا يقول (ص) : «أدبني ربي فأحسن تأديبي ».

هذه هي أهم المعاني التي جاءت في القصيدة ، والتي تعبر عن موضوع واحد . وباقي الأبيات كذلك معانيها تشبه هذه الأبيات ، كلها بكاء ووصف لخصال النبي ﷺالتي ميزه الله تعالى بها عن البشر.

---

[1] حسان بن ثابث: الديوان.ص61 – 62 .

[2] المصدر نفسه: ص62.

هذه هي أهم التغييرات التي طرأت على المقدمة في شعر"حسان بن ثابث" ، والتي عبر فيها عن تأثره بالإسلام وتعاليمه السمحاء ، وأن هذه التغييرات نابعة من تكيفه مع معطيات العصر والتعبير عنها وفق المنظور الإسلامي[1] ومعايشة واقعة بكل أبعاده.

2-اللغة الشعرية :

2 -1- الألفاظ الإسلامية و دلالاتها الجديدة :

استقى الشعر في صدر الإسلام لغته من لغة القرآن الكريم ، فمن فضائل القرآن الكريم على اللغة عموما وعلى لغة الشعر خصوصا ، أن هذّب حوشي ألفاظها ، وأزال وحشيها ووسع في مدلول بعض الكلمات وأثراها بالمعاني الجديدة .

فمثلا : "الصلاة " كانت تعني في الجاهلية الدعاء ، وبعد مجيء الدين الإسلامي أصبحت فرضا .

و" الزكاة " كانت تعني النماء وأصبحت ركنا من أركان الإسلام .

وكذلك الحال بالنسبة لـــ " الحج " فقد كان يعني القصد أي الاتجاه وأصبح ركنا من أركان الاسلام .

كما جاء القرآن الكريم بألفاظ جديدة لم يعرفها العرب من قبل. فتأثر بها الشعراء ، واستخدموها في أشعارهم . وه ذا " حسان بن ثابث " أكثر المتأثرين بها من خلال أشعاره التي جاءت تعج بالألفاظ والمعاني القرآنية .

هذه الألفاظ والمصطلحات الجديدة استطاع ت القيام بمعاني التشريعات الدينية والتعبير بدقة عن الأفكار الإسلامية .[(1)]

فقد استخدم حسان لفظ " الإسلام " ، وهو لفظ جديد خاص بالدين الإسلامي ، ولم يكن العرب في الجاهلية يعرفونه بطبيعة الحال ، وقد ورد في قوله تعالى : ﴿ إنّ الدّين عند الله الاسلام ﴾ [(أ)]حيث يقول في رثائه لـــ "حمزة بن عبد المطلب" :

فو الله ما أنساك ما هبت الصبا ولا أبكين في محضري ومسيري

---

(1) - زكريا عبد الرحمن : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص304.

(أ) - سورة ال عمران الآية19 .

على أسد الله الذي كان مدرما يذود عن السلام كل كفور[1]

وجاء لفظ " المسلمين " في قوله يرثي النبي (ص) :

تناهت بوصاة المسلمين بكفة فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند [2]

ومن الألفاظ القرآنية كذلك : لفظتي " المؤمنين " و" المشركين "

فقد أطلق القرآن الكريم لفظ " المؤمنين " على الدين استجابوا لدعوة النبي (ص) ، ورسخت العقيدة في عقولهم وتمكنت من قلوبهم[3]

ويقول حسان في هذا :

رأيت خيار المؤمنين تواردوا شعوب وقد خلفت في من يؤخر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون النقيبة أزهر [4]

اما أولئك الذين جعلوا مع الله إلاه أخر يعبدونه فقد وصفهم القرآن الكريم ب " المشركين " وقد ورد هذا اللفظ في قول "حسان ":

وخبّر بالذي لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب

بما صنع المليك غداة بدر لنا في المشركين من النصيب [5]

ومن المصطلحات الروحية التي أوجدها الاسلام نجد :

(روح القدس ، جبريل ، مصلى ، مسجد ، الكتاب ، المنزل...) [6]، وغيرها من المصطلحات الروحية الأخرى

وقد جاءت "لحسان" أبيات تحمل هذه المصطلحات حيث يقول في قصيدته الهمزية :

وجبريل آمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء [7]

---

[1] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 113.

[2] – المصدر نفسه ، ص 64.

[3]– زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 303 .

[4] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 108 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 24 .

[6]– زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 307 .

[7] – حسان بن ثابت : الديوان ، ص 20 .

وفي رثاء النبي (ص) يقول :

وواضح آيات وباقي معالم وربع فيه مصلى ومسجد [1]

وفي فخره بالأنصار إذ يقول :

نصرنا بها خير البرية كلها إمام ووقرنا الكتاب المنزّلا [2]

والأمثلة كثيرة جدا في شعر حسان عن تأثره بالألفاظ القرآنية وحتى المعاني فقد أورد حسان أبيات تبث تأثره بالمعنى القرآني وذلك واضح في قوله :

معالم لم تطمس على العهد أبها أتاها البلى فالأي منها تجدّد [3]

وهو هنا يريد تجدد ، أي الذكر الحكيم واستمرار يته أبد الدهر ، فقد استمد هدا من قوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [أ]

وكذلك في قول "حسان " :

شهدت بإذن الله أن محمـــدا رسول الذي من فوق السموات من عل

وان أبي يحيا ويحيا كلاهمـــــا لـــــه عمـــــل في دينه متقبـــــــل

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول آتى من عند ذي العرش مرسل

وأن أخا الأحقاف إذ يعذلونـــه يقوم بدين الله فيهم فيعـــــــدل [4]

وهذا ما بين صدق إيمان حسان ومدى تأثر معانيه بمعنى القرآن الكريم .

وبهذا كان للدين حضور قوي من ألفاظ ومعاني في أشعار حسان بن ثابث

ما يبث شدة تأثره به . ومن هنا تظهر الحداثة جيله في مسايرة "حسان "

---

[1] – حسان بن ثابت: الديوان ، ص 60.

[2] – المصدر نفسه ، ص 208 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 61.

[أ] سورة الحجر ، الآية 76 .

[4] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 189 – 190 .

للتطورات والتغيرات الحضارية التي مست الناحيةِ اللغوية بسبب لغة الذكر الحكيم ، وكدا بسبب الألفاظ الجديدة التي لم يكن العرب يعرفونها .

وقد هذب القرآن الكريم الألفاظ ونقاها من الغرابة والخشونة فأكسبها سهولة وبساطة وغزارة في المعنى ورقة في التعبير ، كما أمدها بأفكار وأساليب جديدة .

2-2 البساطة والسهولة :

من تأثير القرآن الكريم في اللغة أن أكسبها سهولة وبساطة وغزارة في المعنى ،فقد غلب على الشعر العربي قبل مجيء الدين الإسلامي طابع الغرابة والوعورة في اللفظ حتى أن القارئ يحتاج إلى معجم لغوي لفهم مدلولات الألفاظ. [1]

«ومن المعروف أن أهل الوبر كان تأثرهم الفني بالقران الكريم اقل من تؤثر أهل الصدر الدين عايشوا نمو الدعوة الإسلامية عن كثب واصطحبوا النبي (ص) في سائر المواقف ».[2]

وبهذا أخذ الشعراء ينهلون من القرآن الكريم ، ويقتبسون من نوره فارتقت وعذبت أساليبهم ، ونضجت أفكارهم ،واتسعت أفاقهم ، وجاءت ألفاظ سهلة قوية الأداء ، وقد برزت هذه السمات في شعر " حسان بن ثابت " وهو شاعر من المدينة حين يتحدث عن الدين الإسلامي أو عن النبي (ص) إنما يصدر عن النور الذي ملأ قلبه وبصره من هدي النبوة ، فكان جديرا بلقب " شاعر الرسول " ففي حديثه على النبي (ص) مادحا إياه يقول :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم إلا لاه اسم النبي إلى اسمه اذ قال في الخمس المؤذن اشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد [3]

الملاحظ على هذه الآبيات أن ألفاظها سهلة وواضحة والتعبير عنها أو عن معانيها قوي وجزل .

وفي مدح أخر يقول :

---

[1] – زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 300.

[2] – المرجع نفسه ، ص 301 .

[3] – حسان بن ثا بت :الديوان ،ص54 .

وأجمل منك لم تر قط عيني وأحسن منك لم تلد النساء

خلقت مبرء من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء [4]

ألفاظ الأبيات أيضا بسيطة وسهلة للفهم ، ومعناها جميل جدا .

فلغة "حسان بن ثابث " ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتغيرات التي حدثت في تلك الفترة ، والتي أضفت على اللغة بساطة ووضوحا . هذه البساطة والوضوح وقرب اللغة من الحياة والواقع ما يطالب بها النقاد والشعراء الحداثيون (إن كل مرحلة من مراحل التجديد تثار فيها علاقة اللغة بالحياة وقربها من الواقع على أن قربها من الحياة لا يعني أنها تكون مثل لغة الناس العادية ، بمعنى أنها تحمل نبض الحياة الجديدة) . [1]

اذن فالحداثة ليست مرادفة للغموض والإيها م والضرب في التيه والعبث ، كما انها ليست مناقضة للبساطة والسهولة والوضوح بل إن الحداثة والبساطة تكملان في النص الجيد[2]كما عند " حسان بن ثابث "

2-3 الليونة والرقة:

من خلال شعر " حسان بن ثابث " نجد أن الشعر الإسلامي اكتسب الدقة في التعبير ، هذا لأنه شديد التأثر بالقران الكريم والحديث الشريف ، فبعد أن ملأ الإيمان قلوب الشعراء ، أصبح شعرهم يخالف صورة الشعر الجاهلي الذي عرف بها من الجزالة البدوية ، وحلت محلها البساطة في الأسلوب ، والألفاظ الدقيقة ، ويرجع السبب في هدا أيضا إلى أن الشعر انتقل من البادية إلى المدينة ، وقد وصف " الأصمعي " شعر " حسان " بالين والدقة في قوله :

حدثني عبد الله بن يحيى العسكري قال : حدثني إبراهيم بن الصمد قال : حدثنا الكرائي قال : حدثني عباس بن ميمون طابع قال : حدثني الأصمعي قال : « طريق الشعر ادا أدخلته باب الخير لان ، ألا ترى أن " حسان بن ثابث " كان علا في الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره في باب الحيز من مراثي النبي (ص) وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم ،لأن شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس ،زهير ، والنابعة من صفات الديار

---

[4] – المصدر نفسه ، ص 21 .

[1] – عز الدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،ط2 ،دار العودة ودار الثقافة بيروت، 1981 ،ص 43-46 .

[2] – حسن الأمراني (الحداثة ...ما الحداثة ؟) ، ص120 .

والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار ، فإذا أدخلته في باب الخير لان» . [1]

فالأصمعي هنا يشترط في الفحولة القوة أي ما يعاكس اللين إي أن الشعر إدا أدخلته في باب الخير والدين يبطل أن يكون شعرا ، والشاعر ألا يكون فحلا ، فالفحولة عند الأصمعي هي الانفصال عن الأخلاق ، فالحيز باب من أبواب الأخلاق .

هذه الليونة التي اعتبرها " الأصمعي " عيبا في شعر " حسان " تبين فيما بعد أنها سمة حداثية بمعنى أن كثير من المفاهيم النقدية قد تغيرت عند نقاد القرن الرابع الهجري تحت تأثير ما أسموه الشعر المحدث ،وتحكمه في حركة الحياة الأدبية،فتغير عندهم مفهوم الفحولة وأصبح لا يخلو من سلاسة ورقة أحيانا،استجابة لليونة الشعر و سهولته [2]."فلما ضرب الإسلام بجيرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر،ونزعت البوادي إلى القرى،فانشأ التأدب و التطرف اختار الناس من الكلام ألينة و أسهله،و عمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا و ألطفها من القلب موقعا...فصارت ادا قيست بدالك الكلام الأول تبين فيها اللين،فيظن ضعفا،فإذا افرد عاد ذلك اللين صفاء و رونقا، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولطفا" [3]و تظهر الليونة بصفة خاصة عند "حسان بن ثابت" في مثرياته للرسول(ص).

ومن ارق ما قاله "حسان" قصيدته الدالية التي رثى بها رسول الله"ص" يوم وفاته،وبكاه بكاء حارا سائلا عينيه المؤرقتين:

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت ما فيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا يا خير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهي يقيك الترب لهفي ليتني غيبت قبلك في بقيع الغر قد

---

[1] – أبي عبد الله محمد بن عمر المرزباني : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،عنيت بنشره ،جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة،ص9.

[2] – محمد مصطفى ابو شوارب اشكالية الحداثة قراءة في نقد القرن الرابع الهجري ط1 دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر .الاسكندرية ص60.

[3] – القاضي عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تحقيق وشرح :محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ،منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ،ص 18- 19 .

بابي و أمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متبلدا متلددا،يا ليتني لم أولد

[.]

يا رب فاجمعنا معا و نبينا في جنة تثني عيون الحســـــد

في جنة الفردوس فاكتبها لنا ياذا الجلال وذا العلا و السؤدد [1]

يبدأ "حسان "قصيدته بسؤال نفسه قائلا:ما بال عينك لا تنام، وكأنها أصابها الرمد في مآقيها جزعا على الرسول(ص) الذي أصبح ثاويا في التراب ،ثم يخاطب الرسول (ص) و يتخيله و كأنه أمامه فيقول: يا خير من وطئ الحصى لا تبعد عنا، فانا أقيك الترب و يا ليتني مت قبلك و دفنت في بقيع الغر ق د، وأني أفتديك بابي و أمي يا من شهدت وفاته في يوم الاثنين، ثم يصف حاله بعد موت النبي (ص) وأنه أصبح في حيرة من أمره،وتمنى لو أنه لم يولد حتى لا يرى ولا يتذوق مرارة موته و فراقه. ثم يطلب من الله تعالى أن يجمعه يوم القيامة مع النبي (ص) في جنة تدفع عنهما عيون الحسد، في جنة الفردوس أسمى ما يتمناه المؤمن يوم القيامة و الملاحظ على هذه القصيدة أن ألفاظها رقيقة ومعانيها واضحة وأسلوبها سلس .

---

[1] – حسان بن ثابث :الديوان . ص65.

الخاتمة

خاتمـــة :

من خلال سعينا لانجاز هذا البحث المتواضع ،وجولتنا القصيرة بين ثنايا قصائد " حسان بن ثابت " ، وهذا بغية تبين مظاهر الحداثةفي شعره .أمكننا الوصول إلى بعض الملاحظات والنتائج التي تبقى قابلة للإثراء والتوسع .

– صحيح أن لفظة الحداثة شائعة ، يكاد يستعملها جميع الأدباء والمهتمون بالأدب ، من أنصار القديم والجديد على السواء ، ولكنه من اليقين إن شيوع اللفظة لا يكفي لنقول إن المفهوم الاصطلاحي للحداثة محدد.

فلم تعرف الحداثة تعريفا مانعا جامعا ، بل اختلف النقاد والدارسون في تعريفها كل حسب رأيه وفهمه لها .

– إن المفهوم الزمني للحداثة ليكفي وحده للحصول على تعريف لها . ومع هذا لا يمكن إلغاؤه بآي حال من الأحوال

– الحداثة الحقيقية لا تقوم على أساس زمني مطلق ، وهذا من اجل أن يبقى كل حديث حديثا على مر العصور ، وهذا ما كان عليه شعر " حسان بن ثابت "،فقد توفرت فيه بعض القيم لم ترتبط بالزمن أكسبت شعره سمة الحداثة .

– الحداثةحداثتان :

حداثة سلبية و هي التي رفضت الماضي وتمردت على تراثه ، وعلى كل الواقع ومقدساته وظروفه ،رفضت الماضي والحاضر وتزعم أنها تتجه نحو المستقبل ، فأصحاب هدا الاتجاه كانت نضرتهم للحداثةنابعة من منظور غربي ،أكد فيه أصحابه انسلاخهم عن تراثهم ، وتنكرهم بزي غربي.

أما الحداثة الايجابية فهي عملية إبداع وابتكار تعتمد على الأصول هي الاستجابة لقضايا العصر و المجتمع ومعايشة الواقع بكل أبعاده ،والتعبير عنه بصدق، ومواكبة التحدي الحضاري الجديد ،هدا لا يعني الانفصال عن الماضي.

– الحداثة تعتمد على الأصول، فهي عملية تستلزم الربط بين الماضي والحاضر لرؤية المستقبل، فلا حداثة بدون أصالة ولا روح بدون هوية.

– "إن الحداثة لا تحقق بقطع الصلة مع الجذور بل إن من شروطها الانغراس في التربة التي تنتمي إليها حضاريا"

– ارتبطت الحداثة عند" حسان بن ثابت "بظهور الدين الإسلامي الذي احدث أعظم تحول في تاريخ الإنسانية ،فهو دستور الحياة لأنه يستجيب لكل ما يطرأ على المجتمعات الإنسانية من تطور ،وهدا نظرا لمرونته واتساع آفاقه ،فهو صالح لكل مكان وزمان.

- إن التحول العقيدي في المجتمع العربي الجاهلي نجم عنه تحول في فكر وحياة كل الشرائح الاجتماعية ، ومنهم الشعراء. فدلك التحول من الجاهلية إلى الإسلام دخل إلى نفس "حسان بن ثابت "،فغير جذريا فكره وسلوكه وشعره، حيث صار هدا الأخير شعرا ملتزما بالإسلام.

- إن شعر "حسان " في الإسلام لم يضعف على الإطلاق، بل كان "حسان"ذا موهبة متخصصة، بدليل أنه لم يكن كبقية الشعراء ممن اشتهروا بمواهب عدة مثل:الفروسية والقيادة والخطابة،بل كان يتميز بموهبة الشعر فقط،وهدا ما جعل شعره يمتاز بالعمق والقدرة على الإبداع المتميز الذي نجده عادة لدى الإنسان المتعدد العطاء.

- إن التحول الذي حدث في شعر "حسان"لابد أن يفهم في ظل التوجه الذي صحب تجربته الشعرية من طرف الرسول (ص)، وكأن الرسول (ص) كان يعي وعيا تاما الدور الجديد أي الوظيفة الجديدة التي سيقوم بها الشعراء، ولذلك راح الرسول (ص) يساعد "حسان"على النجاح في أداء وظيفة ذلك الفن ، حيث كان الرسول يوجه "حسان"ويعطيه الوقت الكافي بل كان يرعاه بنفسه.فلما رآه أهلا لدلك جعله شاعره.

- لم يكن أسلوب "حسان"في هجائه طعنا في أصل قريش ونسبهم،كما كان عليه في الجاهلية،فقد أزال الإسلام من الهجاء القدح،فأصبح مهذب الأسلوب،يترك الباب مفتوحا للمهجوين لعلهم يهتدون وينعمون بنعمة الإسلام.

- لم يقتصر المدح عند "حسان"في عصر صدر الإسلام على النبي (ص)وخلفائه وكبار الصحابة،الذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسنا،وهو مدح يختلف عن المدح ألتكسبي بصد وفهعن التقلب على معاني العطاء والجود،فأصبح مدحا صادقا لائقا بالممدوح.

- لقد نقل "حسان"أغراض الشعر من الفخر بالذات و القبيلة إلى الاعتزاز العقيدي ،ومن الغضب و الهجاء المرتبط بمصالح الذات إلى الغضب لله ورسوله،ومن آداب التكسب إلى آداب الانتماء العقيدي ،ومن المدح بدافع الطمع إلى مدح الهدى مقابل التواب من الله تعالى.

- كما استطاع"حسان"بغزارة إنتاجه أن يستجيب للتحديات التي تواجهها الدعوة الجديدة،والرد على لهجات الكفار وتوضيح حقائق الإسلام.

– لقد تناول "حسان"في شعره بعض القضايا التي جاء بها الدين الإسلامي والتي والتي عبر من خلالها عن التغير الجدري الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب منها:العبادة والتوحيد، إشكالية المصير،الجهاد والدفاع عن العقيدة،فقد أدخل القرآن الكريم كثيرا من المعاني القيمة والأفكار السامية لإطفاء جدوة الصبية الجاهلية،وزرع الألفة بين قلوب العرب.

– كما اتضح من خلال أشعاره الدعوة إلى الخير والحق،والتمسك بالأخلاق الحميدة وترك الأخلاق الدميمة،وهدا انسجاما مع رسالة النبي (ص) السماوية التي تدعو الناس إلى الحق والخير وتعمل على تجنبهم الباطل في القول والعمل معا.

– إن"حسان"في إنتاجه الشعري كان صادقا، يخرج تعبيراته من أعماق قلبه،وهدا ما لاحظناه من خلال دفاعه عن الدين الإسلامي ومن خلال مدحه الصادق،لا نقصد هنا الصدق الأخلاقي فقط بل حتى الصدق الفني.

- استقى "حسان" ألفاظه من القرآن الكريم،هدا ما يبين صدق إيمانه،ومدى تأثر معانيه بمعاني القرآن الكريم،و بهذا كان للدين حضور قوي من ألفاظ و معاني في أشعاره.
- إن ألفاظه سهلة وبسيطة أكتسب شعره الرقة في التعبير، فأصبح يخالف صورة الشعر الجاهلي التي عرف بها من الجزالة اليدوية وحلت محلها البساطة في الأسلوب،كل هدا اكسب شعره حداثة.
- لقد نجح"حسان"في توظيف موهبته الشعرية،وتصحيح موازينها الفنية و الأسلوبية بما يتناسب وتحديات الواقع ووظيفة الشعر كما أرادها الإسلام.

وأخيرا نتمنى أن يكون هدا العمل المتواضع،والدي مازال قابلا للإثراء و التوسع،قد ألقى الضوء على بعض جوانب الموضوع ،وأزال الغموض عن هده النقطة بالذات نعني"مظاهر الحداثة في شعر حسان بن ثابث"كما نأمل أن نكون قد وفقنا ولو قليلا في توضيحها،وأن تجد هده الدراسة طريقها نحو الظهور والتبلج وكذا النجاح والتوفيق.

كما نجدد شكرنا الخالص وامتنانا إلى أستاذنا القدير"عبد الحميد بوفاس" والى كل من أعاننا في هذا البحث المتواضع.

تم بحمد الله وعونه

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم

1 -حسان بن تابت : الديوان ، شرحه و كتب هوامشه و قدم له : عبدا، مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

2 -ابن منظور : لسان العرب ضبط نصه و على حواشيه ، خالد رشيد القاضي ، ط.1 ، ج 3 ، دار صبح ادسيوفت . 2006

3 -دار الشرق : المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ط1 ، دار النشر بيروت ، 2001

4 -خالد سعيد : (الملامح الفكرية للحداثة) ، مجلة فصول المجلد 4 ، العدد 3 الحداثة على اللغة و الآداب ، ج 1 ، أفريل ، ماي ، جونيه 1984 .

5 -محمد مصطفى مدارة ، بحوث في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت .

6-القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتنبي و خصومه ، تحقيق و شرح : محمد ابن الفضل ابراهيم و علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت .

7-عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق و تعليق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر العربي بيروت .

8-أدونيس علي أحمد سعيد الثابت و المتحول ، بحث في الاتباع و الإبداع عند العرب ، ج 1 الأصول ط 4 ، دار العودة ، بيروت .

9- عبد الله حمادي : الشعرية العربية بين الاتباع و الابتداع ، ط 1 ، دار هومة .

10-شلتاغ عبود شداد الغماوي : شاعر العقيدة الاسلامية ، دار مدني .

11-مشري بن خليفة القصيدة الحديثة على النقد العربي المعاصر ، ط1 ، منشورات الاختلاف 2006.

12-يوسف الحال : الحداثة في الشعر ، ط 1، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت .

13-حسن الأمر في : (الحداثة .....ما الحداثة ؟) ، المشكاة ، مجلة ثقافية فصلية العدد 15-16

14-أدونيس : زمن الشعر ، ط 2 ، دار العودة بيروت . 1978.

15-عمار زعموش : (إشكالية الأصالة و المعاصرة في النقد العربي) ، مجلة الآداب ، جامعة قسنطينة ، العدد 1.

16-عبد العزيز ابراهيم : شعرية الحداثة – دراسة- منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2003.

17-علي وطفة : مقاربات في مفهومي الحداثة و ما بعد الحداثة ، مجلة فكر و نقد عدد 34 ، من موقع محمد عابد الجابري www.aljabiri abd .com

18-عدنان علي رضا النحوي : تقديم نظرية الحداثة ، ط 1 ، دار النحوي للنشر و التوزيع ، السعودية 1992 .

19-زبير دراقي : المستقصي في الأدب الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ، بن عكنون – الجزائر .

20-عبد القادر هني : دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي .

21-أنور الجندي : معلمة الإسلام ، ط1 ، المجموعة الثالثة ، المكتب الإسلامي .

22-جعفر بن السيد باقر الحسيني : تأثير الإسلام في حياة العرب
www.hawzah.net/per/.../ah/aho 1308.aspa.net

23-عز الدين الخطيب التميمي آخرون : نظرات في الثقافة الاسلامية دار الشهاب.

24-عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية و النقدية ،ط 1 ، جدارا للكتاب العالمي للنشر و التوزيع ، 2006.

25-زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي و صدر الإسلام .

26-حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان .

27-سعيد حوّى : دراسات منهجية هادفة حول الأصول الثلاثة : الله ، الرسول ، الإسلام ، راجعة : سليمان وهبي الفاوجي ، ط 3 ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

28-عبد الرحيم العطري : ملاحظات حول الهوية و الانتماء
http://www.ejteman.com/threact.php/:4062

29-محمد البشير : حفظ الهوية الإسلامية و نشرها في ظل العولمة رؤية تأصيلية في ظل الكتاب و السنة .
http://faculty .ksu.edu.salaljarl/research.library003.doc

30-عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية ، ط2 ، دار العودة و دار الثقافة ، بيروت ، 1981.

31-أبي عميد الله محمد عمران المرزباني : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء عينت بنشره ، جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة .

32محمد مصطفى أبو شوارب : اشكالية الحداثة قراءة في نقد القرن الرابع الهجري ط1، دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر ، الإسكندرية .

33خليل ذباب أبو جهجه : الحداثة الشعرية العربية الإبداع و التنظير و النقد ، دار الفكر اللبناني بيروت

34ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم : الشعر و الشعراء تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر .

35نورالدين السيد : الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية ، بن عكنون – الجزائر .

36عبد الله مهران : (مدخل إلى النقد الأدبي الإسلامي و أهم قضاياه) ، مجلة رؤى الأدبية ، ع 1 ، السنة الأولى جمادى الأولى 1418 ه ، سبتمبر 1997 م الصادرة عن نادي حائل الأدبي .
http://www.ikhwan-net/wiki/index-php !title.

37-الندوة العالمية للشباب الإسلاميhttp//www.saaid.net/fera//mthahd/100.htm

38- أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط10، دار الكتب العربي ، بيروت -لبنان 1969.

39-محمد الياقوت الحموي : الحداثة من منظور إسلامي: http//shataaya.com

40 – محمد البقاش :(الحداثة والقدامة):http//www.tigaha.com

41– ميتشيجان : الإسلام والحداثة ، جامعة الحبيب عمر http:// www.alhabibomar.com

الفهرس

المقدمة .....ص(أ–ز)

الفصل الأول: من مفاهيم الحداثة .

1– تعريف الحداثة .....ص (02)

1–1– لغة .....ص (02)

1–2– اصطلاحا .....ص (03)

أ– عند الغرب .....ص (03–04)

ب– عند العرب .....ص (03–10)

2– الحداثة الإسلامية .....ص (11)

2–1– تأثير الإسلام في حياة العرب ..... ص(11–19)

2–2– الحداثة من منظور إسلامي ..... ص(20–23)

الفصل الثاني: مظاهر الحداثة في المضمون.

1– الدين .....ص (25–33)

1–1– العبادة و التوحيد .....ص (34–35)

1–2– الجهاد والدفاع عن العقيدة .....ص (36–46)

1–3– إشكالية المصير (الجنة و النار) ..... ص(47–48)

2– الأخلاق .....ص(49)

2–1– الدعوة إلى الخير و الحق .....ص (49–50)

2–2– نماذج أخلاقية ..... ص(50–54)

3– الهوية و الانتماء .....ص(55)

أ– الرسوخ .....ص (55–56)

ب– السلام .....ص (56–57)

ج– الاعتدال .....ص (57)

4– الصدق الفني .....ص(61)

الفصل الثالث: مظاهر حداثية في الشكل.

1– المطلع مقعد القصيدة ..... ص(64–68)

2– اللغة الشعرية .....ص (68)

2–1– الألفاظ الإسلامية ودلالاتها الجديدة .....ص (68)

2–2– البساطة والسهولة .....ص (71–72)

2–3– الليونة والرقة .....ص (72–74)

الخاتمة .....ص (76-78)
قائمة المصادر والمراجع.....ص(79-82)
الفهرس .....ص(83-84)